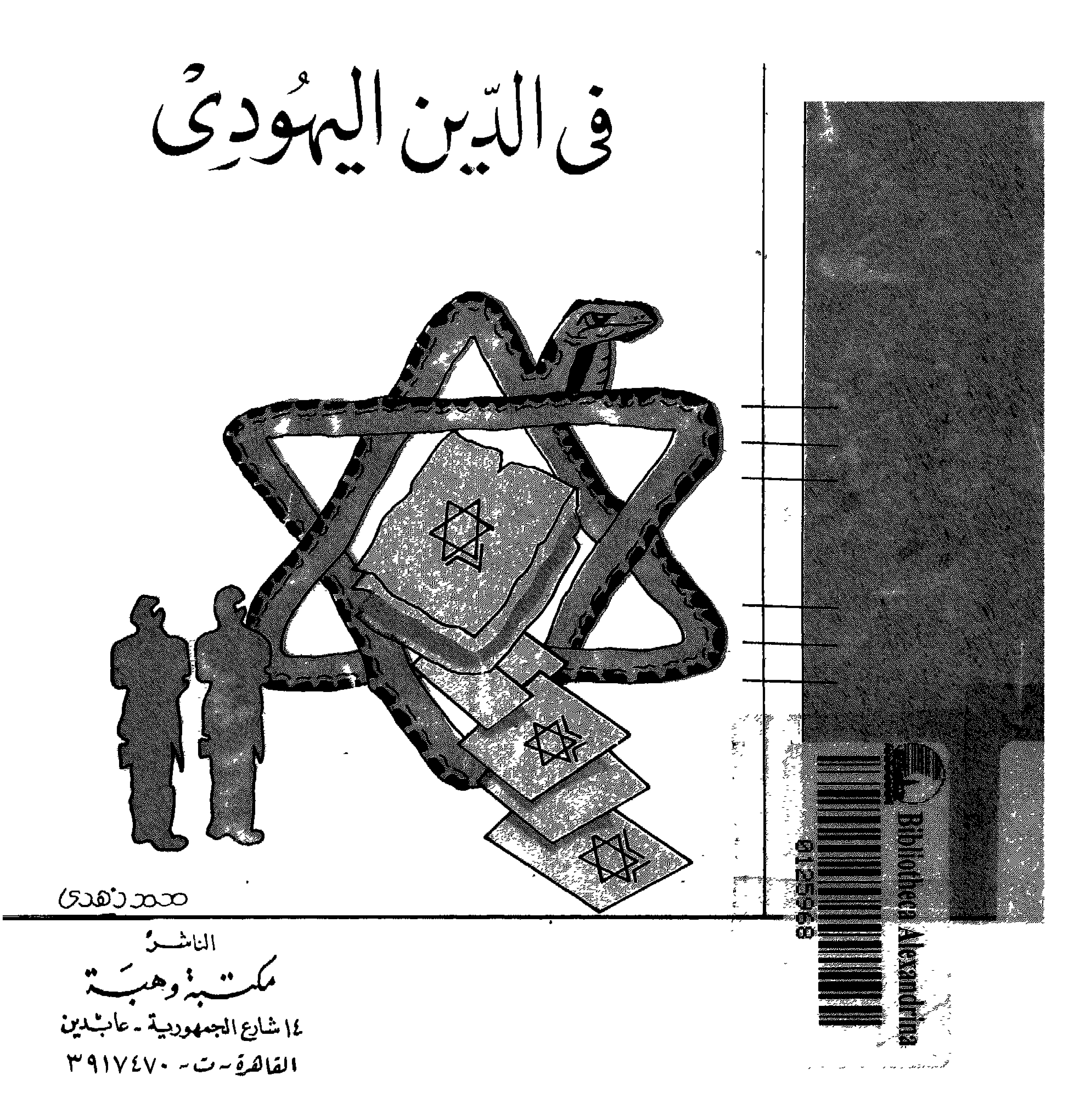
في الدين اليهودي



الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي

الملل المعاصرة

في الدين اليهودي

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الثانية

١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

دار التضامن للطباعة
٢٢ شارع سامى ـ ميدان لاظوغلى
تليفون : ٣٥٥٠٥٥٦ ـ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم الأستاذ كامل الشريف

وزير الاوقاف والشئون الاسلامية

بالمملكة الاردنية الهاشمية ــ سابقا

فى هذا الكتاب « الملل المعاصرة فى الدين اليهودى » يبذل الشهيد الدكتور اسماعيل الفاروقى جهدا واضحا لتحديد التيارات القائمة فى الدين اليهودى ، والقاء ضوء على نشأتها منذ عهد ابراهيم عليه السلام ، وعلى التطورات التى لحقت بها مع تقلبات التاريخ المضطرب لهـــذا الشعب ، وهو اذ يفعل ذلك نراه لا يبعد النظر عن أخطر هذه التيارات وأولاها بالدراسة وهى الفكرة الصهيونية العنصرية التى بدأت جراثيمها مع ميلاد الدين اليهودى نفسه ، ثم تطورت حين فرضت على اليهود مناخ الاعتزال عن الشعوب التى استضافتهـم ، ومـا أدت اليـه روح التكبر والاستعلاء من اضطهادهم والتنكيل بهم بعد ذلك ، حتى أصبحت المشكلة اليهودية ولا تزال أحد أبرز مشاكل الانسانية على مر الدهور .

لقد حاول المؤلف أن يجيب على الأسئلة الكبيرة التى حـــيرت المفكرين منذ القدم وهى التى تدور حول خصائص الشعب اليهودى التى جلبت عليه النقمة والكراهية وجعلته سببا فى اثارة الفتن والكوارث فى العالم كله ، ثم ما اذا كان من الممكن أن يصبح هذا الشعب وادعا مسالما كغيره من شعوب الأرض ؟

ولقد وضع الكاتب أصبعه على مصدر الخلل الأول فى المسيرة اليهودية حين شاءت الظروف التعسة أن تتغلب النزعة القبلية العنصرية على التراث الروحى فى ملة ابراهيم عليه السلام ، وأن ينجح بعض الدجالين وأدعياء النبوة فى تحريف الوعد ليصبح « فرمانا » بتمليك أرض معينة لها تخوم وحدود ، ويسكنها أقوام آخرون استقروا عليها قبل الوعد بآلاف السنين ، واستمروا فيها بعد الوعد حتى جاءت الصهيونية تقتلعهم منها اقتلاعا بنفوذ المؤامرة وقوة السلاح ٠

لقد أثر هذا التحريف تأثيرا بعيد المدى فى نفسية الشعب اليهودى فراجت بين أفراده خرافة « الشعب المختار » الذى اختصه الله بميزات جسدية وعقلية لا تتوافر للآخرين ، وقد انعكس هذا المفهوم الخاطىء على تصرفات اليهود ازاء مواطنيهم ، فبادلوهم نظرة الخوف والاحتقار ، وقد أدت هذه الكراهية المتبادلة التى جلبها اليهود على أنفسهم لحملات من الاضطهاد عبر التاريخ ، وتكونت حلقة مفرغة ، لا يزال اليهود يعيشون فيها حتى اليوم ، فالجاليات اليهودية التى استقرت مئات السنين فى بعض الأقطار لا يزال ينظر اليها كجماعة دخيلة ينصرف ولاؤها لدولة أجنبية هى اسرائيل ، وهذه الدولة تتجسد فيها خصائص اليهود من الطمع والأثره والغرور ، فتعزل نفسها وتفرض على منطقة الشرق الأوسط حالة من التوتر الدائم والحروب المستمرة ٠ أما تجسيد ملكوت الله السماوى فى وطن أرضى فقد أسهم هو أيضا فى عزل اليهود عن الشعوب التى جاوروها ، ذلك لأنهم بقوا ينتظرون العودة لتلك الأرض ، فلم يستقروا فى بلد معين ، وبقى ولاؤهم مزعزعا مضطربا ، وقد أدى هذا القلق الى توجيههم نحو الاستغلال ، وكسب المال بطرق مشروعة وغير مشروعة ، والاشتغال بأحط الأعمال التى تضمن الربح السريع كالتجسس والتهريب والفساد ، مما ضاعف النقمة عليهم ، وأدى لمعاملتهم كفئة مخربة لا تضمر الا الحقد على الأوطان التى تمنحها الاستقرار ٠

ولقد جرت محاولات عديدة لاستيعاب اليهود فى المجتمعات الانسانية ، وصدرت تشريعات تضمن لهم المساواة الكاملة فى الحقوق

والواجبات بهدف ادخال الطمأنينة الى نفوسهم وتشجيعهم على الاستقرار ، الا أن كل هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح حين اصطدمت بالنزعة العنصرية الاستعلائية ، ووضح لدى الساسة الذين تبنوا هذه الاصلاحات أن أى تراخ مع اليهود انما يفسح لهم المجال لمضاعفة أعمال التخريب والافساد ، ومن هنا نبتت فكرة العنف ضد اليهود التى بلغت ذروتها فيما عرف بالـ (Pogrom) فى روسيا القيصرية ، أو « الحل النهائى » على يد النازيين

على أن بحث الدكتور الفاروقى رغم هجومه المرير على الصهيونية قد اتسم بالانصاف والأمانة العلمية ، فلم يترك لعاطفته العنان بالرغم مما ارتكبته الحركة العدوانية فى حق شعبه ووطنه ، فنجده يميز بين الفكرة العنصرية وبين التيارات اليهودية التى بقيت موالية للتراث الروحى اليهودى ، والتى أطلق عليها « الحنيفية » فى مقابل العنصرية ، وهى تيارات رفضت التفسير القبلى أو الجغرافى للوعد الابراهيمى ، وحاولت أن تجعل اليهودية دينا كسائر الأديان ، ينظم علاقة الانسان بربه ، ويشجعه على اضمار الخير للناس كافة ، ولو نجح هذا التيار منذ البداية لربما استقر اليهود فى أوطانهم المختلفة وتعايشوا مع غيرهم ، ووفروا على أنفسهم وعلى الانسانية كثيرا من البلايا والنكبات .

ومع الاعتراف بأن تيار الحنيفية قد انحسر وضعف تأثيره تحت وهج الدعاية الصهيونية الا أن المؤلف لا يزال يرى فيه تيار المستقبل بعد أن تفشل التجربة الصهيونية — وهى لا بد أن تفشل — ويجد اليهود أن الخيار الوحيد المأمون أمامهم هو التخلى عن العنصرية والعودة للأصل الروحى فى تراث الخليل ابراهيم .

واذا كانت العودة للأصل الروحى الابراهيمى هى سفينة النجاة لليهود وللأمم التى ابتليت بشرورهم ، فان التطبيق العملى لهذه الفكرة موجود فى الاسلام آخر الأديان الابراهيمية ، ولذلك نرى المؤلف يناقش موقف الاسلام المبدئى من اليهودية .

فهو يعترف بها كدين سماوى ، ويمجد التوراة ككتاب تقوم أصوله

على الوحى بالرغم مما لحقه من تحريف يعترف علماء اليهود أنفسهم بوقوعه خلال فترات السبى البابلى ، ونجد القرآن الكريم يدافع عن أنبياء بنى اسرائيل ويجعل الدولة الاسلامية مسئولة عن حماية شريعة التوراة والزام اليهود بها التزاما كما يشير اليه قوله تعالى : **« انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء »** (١) ، ويشير المؤلف ـ بعد ذلك ـ الى عهد المدينة الذى أبرمه الرسول ﷺ مع سكانها من اليهود لينتهى الى أن هذا العهد يؤكد العلاقات الانسانية الودية بين المسلمين والحنيفيين من اليهود ، ولا يزال صالحا للتطبيق اذا اندحرت الصهيونية وزال تيار العنصرية القبلية الذى يتحكم فى مصير الشعب اليهودى .

غير أن من الواضح لديه أن هذه العواطف الانسانية النبيلة التى تصلح لبناء المستقبل لا وجود لها فى دنيا الواقع ، حيث يسيطر قادة الصهيونية على مصير الشعب اليهودى ويحشرونه حشرا فى مجابهة محتومة ، ويقامرون عليه فى مغامرة مجنونة تهدف الى تدمير العالم الاسلامى والقضاء عليه ، ـ واذن ـ فلا محل أمام هذا الوضع للتخدير والتسويف ولا بد أن يفيق العالم الاسلامى على هذا الواقع وأن يتأهب لملاقاته بكل ما يملكه من عناصر العزم والتصميم ، حتى يهزم قوى الشر والبغى .

وحينذاك فقط يصبح المجال مهيأ لسيادة العقل والضمير ، وهيمنة المبادىء الانسانية الرفيعة على مصائر الشعوب .

غرة رجب سنة ١٤٠٨ هـ

١٩ فبراير سنة ١٩٨٨ م

كامل الشريف

***

---

(١) المائدة : ٤٤

الفصل الأول

تبلور الدين اليهودى

١ ـ المنفى وأثره الدينى :

نتج عن نفى كبار وعظماء اليهود فى شتى حقول الحياة من يهودا الى بابل نتائج مهمة جدا ، وأثر ذلك فى الدين العبرى ، الذى كان يدين به الأولون تأثيرا شديدا .

عندما سقطت أورشليم فى يد جيوش بابل سنة ٥٨٧ قبل الميلاد ، كانت هزيمة مملكة يهودا تامة . فقد أحرق الهيكل وتفتتت المملكة وتفرق شمل سكانها الذين نجوا من القتل . فقسم خرج الى البلاد المجاورة واندمج فى شعوبها (١) . أولئك هم الذين لم يكونوا عنصريين من قبل ، ولم يكونوا يرضون عن سلوك اخوانهم الانفرادى حيال الشعوب المجاورة ، بل كانوا فى أورشليم يطاوعون حكامها كرها ، ويترقبون الفرصة للخلاص .

وهرب قسم آخر فى اتجاه مصر . ولعلهم أرغموا على الرحيل فى اتجاه جنوبى ، خوفا من ملاقاة البابليين فى الشمال ـ وهو تفسير ضعيف بالنظر الى تفوق البابليين العسكرى ، واحاطتهم بمدينة أورشليم من جميع نواحيها ، وتمكنهم من اللحاق بالنازحين المهزومين مهما خفت خطاهم ـ أو ميلا الى صداقة مصر رغم عداوة مملكتهم الرسمية لها . وان فضلوا اللجوء الى مصر فلا بد أيضا أن سياستهم لم تكن عنصرية متعصبة كسياسة حكومة مملكتهم المهزومة . لقد استقر هؤلاء اللاجئون فى تخوم مصر ، كما نعلم من أرميا (٤٣ : ٧) أنه نفسه كان بين الذين نزلوا

---

(١) أرميا ٤٠ : ١١ ، التثنية ٢٨ : ٩٤ .

فى طفانحس (« دافنة » فيما بعد) وأن آخرين نزلوا فى مدن أخرى فى مصر الشمالية (٢) ٠

والقسم الذى يهمنا من هؤلاء النازحين هو قسم الذين سبوا وسيقوا أسرى الى بابل وأنزلوا فى تل أبيب ٠ ولا شك أنهم كانوا خيرة مواطنى المملكة ٠ اذ لا يعقل أن يقوم البابليون المنتصرون بسبى السوقة والعوام بل الخاصة من الزعماء السياسيين ورجالات الدين والاقتصاد وقـــادة الجيش ، اذن ، فالمنفيون من مواطنى يهودا كانوا القادة ، أى حملة التراث والفكر وأكثر الناس تعلقا بفكر صهيون وأشـدهم تعصبا لـــه ، سواء من الوجهة الدينية أو السياسية أو الاجتماعية ٠ وكذلك كـــان المنفيون أشد اليهود حرصا على الكيان اليهودى وحفاظا عليه ، وأرفعهم ثقافة وأوفرهم غنى ، هذا وان البابليين لم يتدخلوا فى شئونهم ، بـــل تركوهم وشأنهم ضمن المستعمرات التى أقاموها أو خصصوها لهم ٠ لذلك توافرت لديهم جميع المؤهلات للمحافظة على تراث مملكتهم ولاستمرار قيامهم بعاداتهم وشعائرهم ٠ وطبيعى أنهم كانوا يرغبون فى ذلك ، اذ يخفف من وطأة النفى والهزيمة التى لحقت بهم أن يظنوا أن منهاج حياتهم لم ينقطع ولم يتغير ٠

ومع هذا لم يحتمل العديدون منهم وطأة النفى ٠ فلم يمض عليهم زمن طويل حتى قضت الغربة على شوقهم لوطنهم ، فانقطعت صـلاتهم بالماضى ، وأخذوا يعملون فى مدن بابل وقراها كمواطنيها الأصليين ٠ وطالما أنهم كانوا يدفعون الضرائب المترتبة على أعمالهـــم التجـارية والصناعية والزراعية لم تقف الحكومة أو الشـعب فى طريقهم ٠ فأخذوا يثبتون أنفسهم فى المحيط الجديد ونجحوا نجاحا باهرا فى أعمالهم ٠ ولا بد أنهم تناسوا عاداتهم وطقوسهم قليلا قليلا الى أن تم انصهار القسم الأعظم منهم فى الجسم البابلى ٠

---

(٢) أرميا ٤٤ : ١ تشهد الآية (اشعيا ١٩ : ١٨) وما يليها أن هؤلاء اللاجئين لم يبقوا حتى الاحتلال الفارسى لمصر فى عهد قمبيز فحسب ، بل تمكنوا من السيطرة على المرافق الاقتصادية فى مدنهم ، وتزعمـوا حركات اليهود فى العالم المعروف كله فى عهد البطالمة ٠

لكن هناك عددا آخر من المنفيين لم يرضوا عن بلادهم بديلا ولا لطقوسهم ودينهم تحويلا أو تغييرا . فهؤلاء لم ينسوا بل أخذوا يتوقدون شوقا لحياتهم الأولى ، ويتطلعون بأفئدتهم الى يوم عودتهم لأورشليم . وطبيعى أنهم نظروا الى دينهم وطقوسه كالمفرق الأول والأخير بينهم وبين المحيطين بهم . فلا غرابة اذن أنهم صبوا اهتمامهم عليه فأعادوا بلورته بشكل يتماشى مع واقعهم فى بابل ويضمن لهم البقاء .

ونشأ بين المنفيين فى بابل زعيم روحى اسمه حزقيال ، جاءت آثاره فى الباب المسمى باسمه فى الكتاب المقدس ، وكان حزقيال قد أعد للكهنوت ، وسبى فى الدفعة الأولى سنة ٥٩٧ ق.م . وقام بدور الكاهن زهاء عشرين سنة . كان يطيب خاطر اليهود بتفسيره الأحداث كأنها من صنع الاله يهوه ، أرادها لشعبه كى يصهرهم وينقيهم ثم يعيدهم الى صهيون بعد أن أصبحوا عبادا له خلصا . فكان يقول على لسان يهوه : « سأضع فيكم قلبا وروحا جديدين ... وأجعل فيكم شرائع تتبعونها » (٣) . وشرح حزقيال فى فصول عديدة الهيكل الجديد الذى سيعيد الاسرائيليون بناءه ، وفصل الطقوس القربانية التى ظن أن لا بد لهم من القيام بها عند العودة . وكانت هذه كلها تعليلا لآمال المنفيين الضائعة . ولعله فى هذا الوقت حدث تحريف التاريخ الاسرائيلى القديم وأعيدت كتابته . فالأسفار المعروفة باسم يشوع والقضاة وصمويل والملوك ، وكذلك أسفار الأنبياء أرميا وهوشع وعاموس واشعيا وميخا وناحوم وحبقوق أعيد نظمها وتنسيقها فى هذا العهد . فجاءت مليئة بنزعة العودة والتمسك الشديد بالطقوس القربانية ونظام الكهنوت ، وكذلك أضيف الى هذه الأسفار الكثير من العظات الرادعة لشعب اسرائيل عن انصهاره فى العالم ، وعن مواطأته لطقوسها الدينية وأخلاقها ، والحاثة له على التمسك بتراثه كى لا يتفتت ويضيع . ولا شك أن نظام القداسة الذى جاءت تفاصيله فى الاصحاحات ١٧ الى ٢٦ من اللاويين ، والذى صب

---

(٣) حزقيال ٣٦ : ٢٦ – ٢٧ .

اهتمامه على التفريق بين الشعب المقدس وبقية الانسانية ، وضع فى هذا العهد أيضا (٤) ٠

وفى هذا العهد أيضا ، وتحت تأثير أوضاع النفى ، تأسست الكنيسة كنظام تعبدى وهى ما زالت الى يومنا هذا مؤسسة التعبد اليهودى الوحيدة ٠ ذلك أن انقطاع المنفيين عن الهيكل ، اضطرهم الى التجمع فى بناء ما للتعبد يوم السبت أو على الاقل ، طالما أنه لم يكن هناك تعبد بالمعنى الرسمى خارج هيكل أورشليم ، اضطرهم الى التجمع فى بناء ما للاستماع الى خطب وعظات شيوخهم ، الى كهنتهم يتلون عليهم ما نقلوه من كتبهم وأدبهم الدينى ٠ وفى هذه التجمعات ، التى كانت عديدة اضطرارا لأن المنفيين لم يكونوا يستطيعون كلهم التجمع فى مكان واحد ، كانوا يجمعون التبرعات لاعانة المحتاجين ويوزعونها ، ويعلمون الشعب ما استطاعوا من طقوس ودروس ٠ وعن هذه التجمعات نشأت الكنائس كمؤسسات دينية ، ثم استمرت الى ما بعد العودة وبناء الهيكل من جديد لأنها وجدت أنها تؤدى خدمة لا غنى لليهود عنها ٠

وفى الحقيقة ، تغير المجتمع اليهودى تحت هذه الظروف فأصبح من الوجهة الدينية مجتمعا جديدا ٠ كان فى السابق مجتمعا يقوم حول طقس دينى واحد ٠ ألا وهو القربان فى الهيكل الواحد الذى كان لا بديل له ٠ أما فى المنفى ، فقد أصبح مجتمعا يقوم على التمسك بالتراث والقانون ٠ ولا غرو أن المنفى سبب هذا الحرص الجديد على القانون ٠

---

(٤) يقول جون برايت فى كتابه (S.C.M. Press, A History of Israel) لندن ، ١٩٦٠ ، صفحة ٣٣٠-٣٣١ : «ان جميع الكتابات التاريخية التثنوية ، من يوشع الى الملوك الثانى ، التى ربما كانت ألفت قبيل سقوط الدولة ، أعيدت كتابتها وحرفت وزيد عليها - كما فى الملوك الثانى ٢٥ : ٢٧ - ٣٠ ٠ وجعلت منسجمة مع الوضع الجديد فى المنفى ٠ كذلك ، آثار الأنبياء ، الآن وقد أثبتت الأحداث صحة تحاذيرها ، لم يحتفظ بها كتابة وشفاهة فحسب بل دونت من جديد وزيد فيها حواشى كثيرة جعلتها تنطبق على أوضاع المنفى ٠٠٠ » ٠ ويسرد المؤلف بعد ذلك الكثير من أسفار التوراة التى اعتراها هذا التحريف المغرض ٠

فبما أن الدولة اليهودى سقطت والهيكل هدم والطقوس القربانية لـــم تعد تقام ، لم يبق لليهود مميز عن بقية البشر ، واستحال عليهم تعريف هويتهم بشكل فحوى • اذ لم تعرف لهم هوية ســوى الهوية الجغرافية المنطوية عنها كلمة « يهودى » أى « من بلد يهودا » • لذلك بادروا الى القانون ، وجعلوا هويتهم منوطة بتنفيذهم اياه بحذافيره • وأيد هــذا الاتجاه تأويل الأنبياء والزعماء الحاليين والسابقين لذلك العهد بقليل ، من أن النكبة التى حلت بالدولة اليهودية سنة ٥٨٧ ق•م كان سببها عدم تمسك اليهود بشريعتهم • وعليه أخذ المنفيون يتسابقون فى تعليق اهتمامهم بحذافير الشريعة • فالسبت والختان مثــلا ، عرفهما اليهود من قبــل واتبعوهما كجزء من الشريعة • الا أن هذين النظامين أصبحا فى المنفى وحدهما يعرفان اليهودى ويؤديان فحوى هويته كليا • اقرأ مثلا ما جاء فى أرميا ١٧ : ١٩ ــ ٢٧ وأشعيا ٥٦ : ١ ــ ٨ ، ٥٨ : ١٣ وما يليه ، فأنت واجد أن اقامة السبت هى الفاصل الواحد والأخير بين الانتماء الى الميثاق (٥) وعدمه • واقرأ ما جاء فى التكوين ٢ : ٢ وما يليها حيث الادعاء بأن السبت شعيرة « أقيمت عند خلق الكون » • ثم اقــرأ فى الخروج ٣١ : ١٢ ــ ١٧ ، وحزقيال ٢٠ : ١٢ ، حيث الادعاء بأن اسرائيل هى اسرائيل بسبب اقامة السبت • وكذلك الختان ، فقد عرفه الكنعانيون والفينيقيون والموآبيون والمصريون وغيرهم بجانب اسرائيل باستثناء الفلسطينيين والبابليين الا أنه أصبح فى المنفى (٦) عــلامة اليهودى المميزة وفحوى يهوديته • أضف الى ذلك حزقيال ٤ : ١٢ ــ ١٥ ، ٢٢ : ٢٦ ، ٤٤ وما يليه ، ونظام القداسة فى اللاويين فصول ١٧ الى ٢٦ لتجد أن مسألة الطهارة الطقسية وأساليبها وأحكامها أخــذت أهمية كبرى فى المنفى لم تعهدها من قبل • وذلك لأن المنفيين شاءوا بهذه الوســـائل

---

(٥) الانتماء الى ميثاق ابراهيم فى نظر اليهود يعنى العضوية فى الشعب اليهودى • انظر كتاب « أصول الصهيونية فى الدين اليهودى » للمؤلف ، صفحة ١٩ وما يليها •

(٦) حسب شهادة التكوين ١٧ : ١١ •

أن يعطوا أنفسهم ميزات حسية وفعلية تفوقهم عن غيرهم من البشر (٧) ٠

تجب هنا الملاحظة أن عودة اليهود الى يهودا وإعادة بنائهم الهيكل فى أورشليم سنى ٥٢٠ — ٥١٥ ق٠م٠ لم يغير هـذا الاتجـاه الدينى ، صحيح أنه لعهد قصير ، استطاع قسم ضئيل من اليهود ، وهم سـكان أورشليم ، من تعريف أنفسهم على الطريقة القديمة ، أى كأعضاء مجتمع قومى طقسى ٠ الا أن معظم اليهود — وأكثريتهم كانت تعيش خـارج أورشليم بل خارج فلسطين — لم يكونوا يستطيعون الذهاب الى أورشليم للمساهمة فى طقوسها ولم يكونوا يرغبون فى ذلك ٠ فقد حلا لهم التعبد فى الكنيس بدون طقوس قربانية ٠ وفضلا عن ذلك ، لقد دك المنـفى وسقوط الدولة اليهودية الأساس اللاهوتى للشعائر القربانية ٠ لذلك لم يكن بد من ايجاد عنصر آخر من التراث الاسرائيلى يلتف الشعب حوله ويتماسك به ٠ وذلك بالذات كان ما فعله القانون ٠

ويمكننا أن نقول ان التمسك بالقانون هو المميز الكبير بين ما قبل المنفى وما بعده فى الدين اليهودى ، أما وجود القانون نفسه فلم يكن جديدا ٠ عرفت اسرائيل القانون منذ بدايتها ، عندما كانت اتحادا قبليا قائما على القانون المترتب على الميثاق ، وعندما قامت المملكة ، لـم يغير من هذا شيء ٠ ذلك لأن القانون لم يكن قانونا وصفيا من شـأن الدولة ابرامه أو اسقاطه ، بل قانونا قدسيا تقوم الدولة على تنفيذه فقط ٠ ولنذكر هنا أن الملك يوشع لم يكن يقدم القانون التثنوى كقانون وضعته دولته ، بل كقانون قدسى قديم تعلن دولته خضوعها له وتمسكها به ٠

هذه المكانة الممتازة للقانون ، وتفوقه على الطقوس القربانية ،

---

(٧) من الأمور الباعثة للضحك ادعاءات رجال الدين الذين صبوا جل اهتمامهم على اعلاء شأن القانون ، ففضلا عما ذكره أعلاه ، قالوا ان السبت كان يقيمه الملائكة وان اختيار اسرائيل فوق كل الشعوب أعلن عندما خلق العالم (اليوبيليات ٢ : ١٥ — ٣٣) ٠ وكذلك قالوا ان قانون اللاويين المتعلق بالتطهر طبق فى قضية حواء (المصدر ذاته ٣ : ٨ — ١٤) ٠ وان عيد الأسابيع السبع (Shavu'ot) أقامه نوح كما أقام ابراهيم عيد التوابيت (المصدر ذاته ٦ : ١٧ وما يليها و ١٦ : ٢٠ — ٣١) ٠

نمت بمرور الزمن فى المنفى ووصلت مرحلة التبلور فى عهد عزرا ٠ فالاصلاح العزراوى قام على القانون وضرورة التمسك به ، وكان بمثابة نهاية طريق وبداية طريق آخر في التاريخ الاسرائيلى ٠ ان عبقرية عزرا كلها محصورة فى هذا التعريف الجديد الذى أعطاء لاسرائيل ٠ فاسرائيل ، فى عرفه الجديد ، لم تعد دولة قومية ، ولم تعد مجموعة أبناء مواطنى الدولة الساقطة ، ولا مجموعة سكان أورشليم ، ويهودا ، بل حتى ولا مجموعة من يعترفون بيهوه ويعبدونه ٠ اسرائيل هى من يعترف بالقانون ويتحمل عباه ٠ بينما كان القانون فى السابق ينظم حياة القوم ، أصبح الآن يجعل القوم قوما ٠ وبينما كان نتيجة للميثاق الابراهيمى ، أصبح الآن فحوى الميثاق ومعنى الدين والتدين كله ، بينما كان القانون يدعم الدين ويعطيه بعده الأخلاقى ، أصبح الآن هو الدين وهو الأصل بالمستقبل ، وأصبح اليهود لأول مرة كتابيين ، أى لهم دين هو القانون المرسوم فى كتاب ٠ فبينما استخرج أجدادهم الكتاب المقدس ٠ من حياتهم وواقعهم التاريخى ، أصبحوا الآن يستخرجون حياتهم وواقعهم من كتاب القانون ٠ هذا هو الطابع الذى انطبع به الدين اليهودى وبقى حتى العصر الحديث ٠

صحب هذا الرفع من مكانة القانون فى الدين اليهودى تدوين معظم أسفار الكتاب المقدس ، لا سيما الأسفار الخمسة الأولى المسماة بالـ (Pentateuch) واعتبارها كتابا مقدسا ٠ ولهذه العملية تاريخ طويل للقارىء أن يراجعه فيما نشر من أبحاث فى تاريخ نص الكتاب المقدس (٨)

---

(٨) أهمها الكتب الآتية :

H.F. Hahn, **The old Testament in Modern Research.** London : S.C.M. Press, 1956.

H.H. Rowley, ed., **The old Testament and Modern Study.** Oxford : The Clarendon Press 1951.

G.H. Wright and R.H. Fuller, **The Book of the Acts of God.** New York : Doubleday & Co., 1957.

=

الا أن النتيجة الملازمة لهذا الرفع كانت أن أصبح بعدها القانون مطلقا .
فطالما أن القانون هو ارادة الله مجسمة فى أوامر وتعليمات ، فالقانون
اذن مطلق وأبدى كالله نفسه . لا يجوز تغييره ولا تبديله . وكان من جراء
هذا أن أقفل باب النبوة فى اسرائيل . اذ أن ارادة الله كلها هنا ، تقرأ
وتعلم برمتها فى هذا القانون . فما الحاجة اذن الى أنبياء آخرين ؟
وما عساهم يأتون به من عند الله غير هذا الذى عندنا ؟ لذلك أصبح
التطلع اليهودى لا الى نبى يأتى بالارادة الالهية كما من قبل بل الى
زعماء أو شبه أنبياء ينفذون القانون (٩) .

حتى الطقس القربانى الذى كان فى العهد السابق أصل الدين
وركيزته الأولى أصبح الآن لا قيمة له الا لأنه مأمور به من قبل القانون .
ولم يكن القانون يصف الطقس القربانى كما كان يؤدى بالفعل ، بل كما
كان يجب أن يؤدى حسب تقدير واضعى القانون ، أى حزقيال وعزرا
وغيرهم ، يترتب عن هذا أن الكاهن لم يعد له تلك المكانة المهمة التى
تمتع بها فى السابق . فالسلالات الكهنوتية المتمسكة بسدانتها وكهنوتها
منذ أيام الملك داوود فقدت مكانتها التى تلقفها معلمو القانون وكتبته ،
وبما أن قراءة القانون كانت متاحة للجميع ، لم يبق للكهنة مهنة
يحتكرونها . وبعد قليل ، اضمحلت المهنة الكهنوتية وانقرض الكهنة من
الدين اليهودى .

الآن وقد تركز الدين اليهودى كله فى القانون ، أصبح تأويله
وشرحه وتفصيله من الأمور المهمة جدا . وبما أن القانون لم يكن وحدة

=

Max L. Margolis, **The Hebrew Scriptures in the Making.** Philadelphia. Jewish Publication, Society, 1922.

M. Noth, **Ueberlieferungsgeschichte des Pentiteuchs.** Stuttgart W. Kohlhammer, 1948.

G. Von Rad, **Das Formgeschichtiche Problem des Hexateuch. Gesammelte Studien Zum Alten Testament.** Munich : C. Kaiser Verlag, 1958.

(٩) انظر المكابيون الأول ٤ : ٤٦ ، ١٤ : ٤١ ، ٩ : ٢٧ ، ٣ : ٤٨

متناسقة الاجزاء والفروع ، وواضحة التطبيق فى جميع الحالات والمسائل ».
ترتب على ذلك قيام حركة التفسير وتوريق الاحكام كى يتسنى تطبيقها
على جميع مراحل الحياة • لذلك نشأت طبقة جديدة، طبقة الكتبة ،
يوقفون حياتهم على دراسة القانون وتحليله واستنباط الاحكام الفرعية
منه (١٠) وابتدأ فى هذا العهد تطبيق مبدأ تفسير القانون بالقانون
أو الكتاب المقدس بالكتاب المقدس كما تشهد الآيات ٤ : ٣٠ ، ٣٣ : ١٥
وما يليها ، ٥٠ : ٦ – ١٣ من سفر اليوبيليات فى أمر تفسير قانون
السبت ، والآيات ٢ : ٢٩ – ٤١ من المكابيين الأول فى أمر ايقاف عمل
قانون السبت فى حالات الطوارىء الملزمة للدفاع عن النفس •

تجب الملاحظة هنا أن اليهود المتدينين لم يكونوا ينظرون الى
القانون كعبء ثقيل ، على عكس اليهود غير المتدينين ، الذين كانوا
يتبرمون ويتأذون من تبعاته • لذلك تركزت دعاية رجال الدين على
اقناع اليهود بان طاعة القانون حلوة ومفرحة ومحببة • اقرأ مثلا الآيات
١ – ٢ ، ١٩ : ٧ – ١٤ ، ١١٩ : ١٤ – ١٦ من سفر الزبور والآيات
١ : ١١ وما يليها من سفر (Ecclesiasticus) وادعوا أن فى القانون حياة
ونورا وهدى كما فى الآية ١١٩ : ١٠٥ من الزبور ، وأن من يتبعه لا بد
أنه واجد أمنا وراحة وسعادة ، كما فى الزبور ١٤٧ : ١٩ وما يليها ».
ومع أن القانون أشار فى أماكن عديدة الى النية الصافية وخشية الاله يهوه ،
الا أنه مقطوع منه أن التقوى اليهودية لم تكن فى يوم من الايام تعنى
تقوى ضميرية صحيحة ، بل انحصر معناها كليا فى طاعة القانون وتطبيق
جميع حذافيره • فالدين كله ، فى عرف الزبور ١ ، ١٩ : ٧ – ١٤ ،
١١٩ ، (Ecclesiasticus) ٢ : ١٦ ، ٣٩ : ١ – ١١ هو محبة القانون
وتطبيقه (١١) •

---

(١٠) كان بن سيرا أحد هؤلاء الكتبة ، انظر : (Ecclesiasticus)
٣٨ : ٢٤ – ٣٤ ، ٥١ : ٢٣ ، بركى آبوت ١ : ١ •

(١١) انظر أيضا الى تعريف يهوديت بأنها متدينة وذات قداسة
لأنها تقيم الاعياد وتصوم وتقيم السبت وتطبق الاحكام المتعلقة بالأكل
(يهوديت ١١ : ١٧) •

بقيت لنا ملاحظتـان عن تطـور الدين اليهودى فى عصرى المنفى وما بعده ٠

الأولى : أن اليهود تبنوا نظرية الملائكـة والشـياطين السائدة فى الدين الفارسى وذلك لأن تاريخهـم (أى هزيمتهـم وتحطيم دولتهـم وتشريدهم) ادت بهم الى الاعتقاد بأن يهوه لم يعد دائم الوجود بينهم ، لم يعد يرافقهم فى شتى الأحوال والأوقات والديار ٠ فنتج عن هذا الاقصاء للاله ، أنه أصبح بعيدا ثم منزها عن الاتصال المباشر بشعبه المختار ٠ فجاءت الملائكة تقوم بهذا الاتصال وتعمل كوسيط بين الاله وشـعبه المحبب (١٢) ٠

أما الملاحظة الثانية : فهى نشأة الوعى الأخروى عند اليهود ٠ فهم لم يكونوا حتى المنفى يعتقدون بأية آخرة ويرون أن الموت خاتمة كـل شىء ٠ أما وقد شاهدوا تحطيم مملكتهم وتقتيل رجالاتهم ، متقين كانوا أو أشرارا ، على يد البابليين ثم اليونانيين ثم الرومانيين ثم الأنطاكيين ، أخذوا يتقبلون الفكرة الأخروية الفارسية ٠ اذ لم يعد يعقل عندهم أن الاله لن ينصر شعبه المختار بعد سقوطه ، وعبادة الأتقياء بعد موتهم ٠ ومن هنا بدأ الايمان بالبعث وبيوم الدين – أى يوم المحاكمة والانتصـار للشعب المختار – ينمو حتى عم الجميع ٠ ولم يتقبل الصدوقيون الفكرة الجديدة واعتبروها بدعة حتى عهد المسيح ٠ وأود أن أشير هنا الى ما ذكرته فى هذا الصدد فى كتابى « أصول الصهيونية فى الدين اليهودى » مضيفا أن وعى اليهود الآخرون تبلور منذ عهد المنفى فى خطين عريضين : خط يرى الآخرة كعودة الى أورشليم الجغرافية واقامة المملكة الداوودية السياسية فيها على يد مخلص يلم شتات اليهود العنصرى (وهـذه هى الصهيونية) ، وخط آخر يرى الآخرة كبعث شخص ومحاكمة شـخصية

---

(١٢) انظر فى هذا الصدد جميع أبحاث (George Widengren, كذلك بحث تلميذ الأخير R.C. Zaehner), (H. Ringren) المسمى (Word and Wisdom) Lund : Hakan Ohlssons Book Tryckeri, 1947.

عن الاعمال فى الدنيا ثم الاحالة الى ملكوت الله • فالخطان اذن خط مادى عنصرى جغرافى شعبى ، وخط روحانى شخصى دينى بالمعنى الذى فهمه الأبيونيون والأسينيون وأخذه السيد المسيح عنهم فيما بعد •

***

٢ ـ نشأة التلمود واتمامه :

يتألف التلمود من مجلدات عديدة ضخمة ، مضت سنون طويلة ، حوالى ألف سنة ، فى تأليفها وجمعها وتنقيحها • تتحدث هذه المجلدات عن كل شىء : من أهم المبادىء الميتافيزقية والدينية الكبرى الى أدق وأتفه مراسم الزراعة والطبخ والزينة • والتلمود يعكس لنا التفكير والواقع اليهودى عبر القرون العشرة التى نشأ وتم تأليفه فيها •

لا بد أن التراث الشفهى قديم ، وربما كان أقدم حتى من القانون الموسوى • وكان التحام التراثين الانسانى والالهى تاما طالما أن الأخير لم يكن مدونا فى كتاب • أما وقد دون فى عصر عزرا ، ابتدأ الخطان ينفصلان عن بعضهما بعضا • فمنذ عزرا قدس اليهود توراتهم ودونوها ، وهكذا حافظوا عليها ، أما التراث الانسانى ، فقد استمر ينقل شفهيا من جيل الى جيل • ومر بنا أن رفع القانون ـ أى التوراة ـ الى مكانة تساوى فيها بالدين كله ، ألزم الكتبة الى شرحه وتفصيله واستنباط الأحكام الفرعية منه • فعملية الشرح والتفسير والاستنباط اذا اتصلت بالتراث الشفهى والتحمت معه ، وتمنع الكتبة عن تدوين شروحهم حتى لا يختلط التراث الانسانى بالتراث الذى اعتقدوه الهيا • ونشأ بينهم أصحاب الذاكرة الخارقة الذين كانوا يحفظون أسفارا طويلة غيبا •

وأول من حفظ لنا التاريخ ذكرهم من رجال من هذا النوع ، شماى وهيلل ، اللذين عاشا قبل مولد المسيح بعشرين أو ثلاثين سنة ، وعرف عن الأول أنه كان شديد الحرص على حذافير القانون ، بينما اشتهر الثانى بليبرالية وروح سمحة • ولعلهما يمثلان النزعتين المادية والروحانية التى أشرت اليهما أعلاه • والمعروف أيضا هو أن تابعى

الاخير كانوا قلة تفوق عليهم أتباع شماى تفوقا كبيرا ، ولم يصلنا شيء مما حفظوه وقالوه الا بواسطة الأجيال اللاحقة ٠

وعندما حطم الرومان الهيكل والكيان اليهودى سنة ٧٠ للميلاد قام يوحنان بن زكاى أحد اتباع هيلل بتأسيس مدرسة فى يبنا بعد أن هرب من أورشليم المهدومة ٠ هناك ابتدأ يوحنان يعلم تلاميذه ما حفظه من تراث ، ايمانا منه بأن اسرائيل لن تقوم الا بقانونها وتراثها الدينى ٠ ويشهد لنا مدى تشاؤمه من قيام اسرائيل السياسية ما نسب اليه من قول بأن أعظم جندى لاسرائيل ليس المحارب بل التلميذ الذى يدرس ويكرس أكبر الجهد والوقت لحفظ القانون وتعليم تلامذة آخرين ٠ وقد أضفى يوحنان على مجلسه فى يبنا ، الذى أسماه « بيت الدين » ، مكانة الافتاء والحكم التى كان يتمتع بها مجلس السنحدرين فى أورشليم ٠ اذ لم يعد هناك مجلس لهم بعد سقوط الدولة ٠ واستمرت مدرسة يبنا هذه تتمتع بمكناتها مدة ستين عاما انجزت خلالها جمع الكتاب المقدس ٠ مضيفة اليه أنشودة الأناشيد وسفر (Ecclesiases) ومقصية عنه سفر بن سيرا ٠ كما أنها اقنعت اليهود بأن هذا النص هو النص الكامل للكتاب المقدس وأنه لا زيادة فيه ولا نقصان بعد اليوم ٠

وفى عهد الامبراطور هادريان ، برز بين دارسى القانون الربان عقيبا وكانت ميزته قوة ادراكه ، وسرعة استنباطه للأحكام من النصوص ، فتزعم مدرسة يبنا وقام باركوخيا بثورته فى ذلك العهد ضد الحكم الرومانى فانضم عقيبا اليه وأخذ يطنطن له بأنه المخلص المنتظر « والنجم الخارج من يعقوب » ٠ وباقتلاع الثورة ! سقط عقيبا بيد الرومان وأعدم تمزيقا على مرأى العموم ٠ وعليه ، صب الرومان غضبهم على يبنا ومدرستها ، بل وتعدوا ذلك الى الدين اليهودى نفسه ٠ فحرموا الختان ، واقامة السبت والأعياد وأى طقس من الطقوس ، وكذلك أبرموا قانونا يعد بموجبه كل من درس القانون مجرما يستحق عقوبة الموت ٠

تبعثر على الاثر ما كان فى يبنا من مخطوطات وآثار ٠ واختبأ من استطاع النجاة من الربابنة وتلاميذهم فى قرية « آوشا » قرب مدينة

حيفا محتفظين بما استطاعوا تخليصه من آثار الى أن ألغى الامبراطور أنطونينوس بيوس سنة ١٣٨ الاضطهاد الذى أنزله سلفه باليهود ٠ وعليه انتقلت العاصمة الدينية من يبنا الى شمال فلسطين ٠ وهناك تزعـــم الحركة الربان مايير وتمتع بمكانة جعلت ربابنة القرن الثالث يقولون : « عندما لا يذكر اسم العالم بالذات فى أى فصل من فصول المشنا ، يجب أن يفهم أو واضعها هو الربان مايير » ٠ وأخيرا ، قام الربان يهـودا ، من تلامذة الربان مايير ، زعيما لمدرسة القانون شمال فلسطين ، بين صفد وطبريا ٠ وهناك ، تحت اشرافه حوالى سنة ٢٢٠ للميلاد ، جمعت آراء ومحفوظات مئة وثمانية وأربعين (Tannaim) أو معلمين فى ستة فصول سميت ونسقت كما يلى :

(١) **البذور** ، وفيه قوانين الزراعة والصلاة وحقوق الفقراء ٠
(٢) **الأعياد** ، وفيه قوانين السبت والأعياد وطقوسها ٠
(٣) **النساء** ، وفيه قوانين الزواج والطلاق والنذور ٠
(٤) **الاضرار** ، وفيه القوانين المدنية والاجرامية ٠
(٥) **المقدسات** ، وفيه مراسيم القربان وطقوس الهيكل ٠
(٦) **التطهرات** ، وفيه الطقوس اللاوية وقوانين الطهارة ٠

الا ان عملية التدوين الخطى لم تتم وبقيت المشنا تنقل من جيل لجيل حفظا عن ظهر قلب حتى سنة ٣٩٠ للميلاد ، فقد تم تدوينها ومنذ ذلك الوقت وهى تعرف بالتلمود الفلسطينى ٠

ونشأ فى بابل ربانان ، صموئيل وأبو عريقا المعروف بسراب ، نزعا الزعامة الدينية لنفسيهما ، أو بالأحرى ، لبابل ، من فلسطين ٠ وكان هذان الربانان أشد ذكاء ودهاء من معاصريهما فى فلسطين ، ومع أنهم ركزوا أعمالهم على المشنا الفلسطينية كأساس ، زادوا ونقحوا وغيروا الكثير ليجعلوها متجانسة مع روح العصر ٠ وأفتى الربان صموئيل لأول مرة فى تاريخ التشرد اليهودى أن قوانين دولة المهجر قائمة وقاطعة فى كل ما يتعلق بحياة سكانها اليهود ما عدا الطقوس الدينية ٠

ومنذ أن وضعت المشنا ، والتعليقات والتفســـيرات والاستنباطات منها وحولها وعليها تتضخم وتزداد مما أصبح يؤدى الى تشابك المـــواد مع بعضها بعضا بشكل يصعب حله . لذلك قام ربينا الثانى ، رئيس مدرسة سورا ببابل سنى ٤٧٤ ـ ٤٩٩ ، وذلك فى عهد يزدجرد الثانى ، بجمع وتصنيف وتدوين هذه التفسيرات الاضافية ، والتى يطلق عليهـا اسـم جمارا (Gemera) ولم يفرغ من عملية التدوين هذه الا فى أوائل القـــرن السادس للميـلاد . فالتلمود البابلى يتألف اذن من المشنا والجمـارا ، أو التفسيرات المجموعة فى عهد رابينا الثانى .

وتقسم مواد التلمود أيضا ، سواء الفلسطينى أو البابلى ، الى حلقا وهجادا ، ويعنى بالأولى المـــواد المنظمة للحيـاة اليهودية ، علمانية كانت أم دينية ، شخصية أم مجتمعية . ويعنى بالثانية المـواد القصصية والتاريخية والأدبية التى جاءت مفسرة أو ممثلة أو مجسمة لأحكام الحلقا .



الفصل الثانى

الدين اليهودى فى القرون الوسطى

١ ـ نشاة القابالا وتصنيف الشولحان آروخ :

جاءت ومضت قرون ، واليهود لم يزيدوا على التلمود شيئا سوى التعليقات العميقة ٠ ومن الناحية الدينية ، ظلوا متمسكين بالقانون كما تبلور فى التلمود ، يدرسونه ويقلبون صفحاته ، فيجدون فيه كل ما يريدون ، ولا يتخطونه فى تفكيرهم قيد أنملة ٠ وكثيرا ما خاطوا حول النصوص الخرافات والخزعبلات وأعمال السحر وأقواله سعيا وراء التحرر من نير التاريخ ٠ وكثيرا أيضا ما وقع اليهود خلال القرون الوسطى تحت سطوة المشعوذين منهم الذين استغلوا تطلعهم الى الخلاص والعودة لاسرائيل ، معلنا كل واحد منهم أنه هو المسيح المنتظر ٠ وكان أهم مظاهر هذا التخاذل والانحطاط الفكرى القابالا والشولحان آروخ ٠

انتقلت عدوى التصوف الغالى فى المذهب الغنوصى ، فى الاشراق والباطنية والحروفية والأعدادية ، أو (Numerology) ، والسحر ، أى (Alchemy) الى اليهود ٠ ورأى الكثير من اليهود فى هذه المذاهب خلاصا لا من الاضطهاد المسيحى فحسب ، بل من التعصب المتناهى الذى كان يبديه رجال الدين منهم للقانون ، ومن مطالبتهم الناس بالانصياع الى أحكامه وتطبيقها بحذافيرها ٠ ولذلك ، راجت المذاهب الصوفية بينهم رواجا كبيرا ٠ وأهم هذه المذاهب هو المذهب المعروف بالقابالا ٠

يعتبر كتاب الخلق الذى أنتجه التصوف اليهودى أهم الكتب

اليهودية اطلاقا بعد التلمود . وقد نسب هذا الكتاب الى ابراهيم وعقيبا وغيره من الربابنة فى العصر التلمودى . ولكنه وجد مدونا فقط فى القرن التاسع عندما ألف سفاديا جارون تعليقا عليه ، فبدل المنطق الأرسطوطالى ، والحكم العقلى ، فسر هذا الكتاب خلق العالم كتجمع عفوى لبعض الحروف والأعداد الاثنى والثلاثين (Sephiroth) التى أسماها « طرق الحكمة » ، وجعل لكل من هذه الطرق قوى فعالة فى تاريخ البشر والعالم . وكذلك اتبعت جميع مؤلفات ابراهيم أبى العافية نفس المنهاج الفكرى . ونشر موسى الليونى كتاب (Zohar) « الاشراق » فى القرن الثالث عشر مدعيا أن محتوياته وحى من شمعون بن بوحاى أحد ربابنة القرن الثانى . الا أن أتباعه أبوا الا أن ينسبوا الكتاب الى النبى موسى بالذات ، بل أنهم ادعوا أن موسى هو الاله الذى سيحاكم البشر يوم البعث . والقانون فى نظر كتاب « الاشراق » ذو مستويين : ظاهر وباطن ، مما شجع اليهود على تلفيق أية معان يريدونها والصاقها بالقانون .

وفى اتجاه معاكس للتصوف ، أخذ يوسف كارو سنة ١٥٥٥ يصنف دليلا للحياة مبنيا على قوانين التلمود وشروحه ونشره سنة ١٥٦٧ وأسماه « شولحان آروخ » . وكان هذا الكتاب بمثابة قائمة يرجع اليها فى كل كبيرة وصغيرة ، من قبل الرجال والنساء والأطفال فى كل ما يخص أمور الحياة . فهو تلمود مصغر لا يقبل الجدل ولا المخالفة ولا التفسير ، قبله اليهود كأنه مفتاح الخلاص وعذروا أنفسهم من عناء البحث والدرس ، بل من عناء الفهم لدينهم وقانونه وراحوا يقيسون كل كبيرة وصغيرة بهذا المختصر المسهل . فأصبح تفكيرهم ميكانيكيا لا حياة فيه ، وأصبحت حياتهم جافة لا قيمة فيها سوى المادة والبيولوجيا .

***

٢ ـ الجيتو وأثره فى الدين (١) :

اضطهد المسيحيون اليهود أشد الاضطهاد . ولم يعترفوا لهم بأية حقوق مدنية . اذ أقصوهم من جميع العلاقات الاجتماعية بين المواطنين . لذلك لم يكن اليهود ليتأثروا بالحركات الفكرية والسياسية والعلمية والفنية التى عملت فى المجتمعات الأوروبية حولهم . ومن الناحية الدينية ، كان هم الكنيسة المسيحية تفريق اليهود عن المسيحيين والحفاظ على هذا التفريق . وكان قسيسوها ، من البابا حتى قس القرية يحملون على كل من تعامل مع اليهود من رعيتهم تعاملا سافرا . كما أن المجالس البلدية كانت تحذو حذو مجلس رافينا في ايطاليا حيث قرر سنة ١٣١٧ « أنه بالرغم من سماح الكنيسة لليهود بالبقاء فى الديار المسيحية ، يجب ألا يسمح لهم (أى اليهود) بأن يؤذوا المسيحيين . ذلك لأنهم يردون الحسنة بالسيئة والصداقة بالاحتقار والعداء . ولهذا ، وبما أن فضائح عديدة حصلت بسبب تمازج اليهود بالمسيحيين فان المجلس الخاص لهذه المقاطعة والمجتمع منذ .... قرر أن على رجال اليهود وضع دائرة من القماش الأصفر على ظهورهم ، وعلى نسائهم وضعها على رؤوسهن ، كى يتسنى للكل تمييزهم عن المسيحيين (٢) .

أما النظام الاجتماعي المقرون بانفصال اليهود عن المجتمعات الأوروبية فهو الجيتو . لا شك أن هذا النظام قديم وسابق لقوانين الاقامة الاجبارية فى الجيتو التى سنها الأوروبيون . فمن المسلم به أن يميل أبناء الدين الواحد والثقافة الواحدة الى السكن بالقرب من بعضهم بعضا . الا أن النظام لم يعمل به كنظام قبل القرن الحادى عشر . فمدينتا

---

(١) قيل ان كلمة (Ghetto) اشتقت من الكلمة الايطالية (Ghetto) أى « مسكب المدافع » اشارة الى الحى المجاور لهذا المسكب الذى كان يسكنه اليهود . وقيل أيضا انها مشتقة من كلمة : (Judaca) أى مكان سكن اليهود ، أو من الكلمة العبرية « جت » الواردة في التلمود بمعنى « الانفصال » .

(٢) Abram Leon Sacher, A History of The Jews. New York : Alfred A. Knopf 1967, p. 251.

ساليرنو وبارى بايطاليا عرف أن فيهما جيتو منذ ذلك الوقت • أما مدينتا طليطلة وقرطبة فى أسبانيا فقد صدر مرسوم ملكى بعد احتلاله من قبل المسيحيين بتأسيس جيتو فيهما يقول : « على جميع اليهود والعرب فى كل مدينة وبلدة وقرية وناحية فى المملكة ••• أن يتجمعوا ويسكنوا فى مناطق مخصصة لهم ، وأن لا يختلطوا بالمسيحيين ، بل عليهم أن لا يجتمعوا معهم تحت سقف واحد » • وما أن جاء القرن السادس عشر حتى اندفعت مدن أوروبا الواحدة تلو الأخرى الى سن قوانين تفرض على اليهود السكن فى الجيتو حتى أنه لم يبق مكان فى القارة كلها يعدون فيه اليهود بين المسيحيين ، أو يختلطون بهم أى اختلاط •

وكان الجيتو فى معظم الحالات يقع فى أوسع وأردأ البقاع ، ولم يكن له منفذ للتوسع رغم ازدياد السكان القاطنين فيه • لذلك كان الجيتو فى كل مكان غاصا بالسكان مما يسهل انتقال العدوى والأوبئة ، واقامة اليهود الاجبارية فيه ومنع اتصالهم بالمحيط المسيحى سهل انتشار أسوأ الأفكار والانطباعات عن اليهود وحياتهم • لم يكن الجيتو معقل الأوساخ والقاذروات المادية فحسب ، بل العيوب الاجتماعية • فكان مركز المومسات وبؤرة الفساد والدسيسة ومقر المتعاملين بالربا • اذن كان يصب اليهودى كل جهده فى الحفاظ على حياته • ولم يكن يهمه أن يحقق سلوكه القيم الأخلاقية وذلك لأنه قرر أن الأولوية فى كل شىء للبقاء وملزماته • وكان اليهودى يدخل فى هذا القرار ويتبناه فيما يتعلق بحياته الشخصية وحياة زوجه وأولاده وبناته حرا ومسئولا • اذ كان يمكنه أن يحارب ويموت أو يتنصل عن دينه الموروث أو يهاجر الى الشرق الاسلامى حيث لا اضطهاد ولا تفرقة عنصرية •

أما المسيحيون فكانوا ينظرون الى اليهود نظرة ملؤها الازدراء والكراهية • وكان يسهل عليهم اتهام اليهود بالخيانة • فالولاء الوطنى لم يكن فى ذلك العهد للبلاد بل للأمراء وللملوك • ومن السخف أن ينتظر من اليهود اعطاء ولائهم لجلاديهم ومعذبيهم الشخصيين • وساعد الجيتو بمنعه الاتصال بين الشعبين اليهودى والمسيحى على الصعيد الفكرى ،

على انتشار وتضخيم الاكاذيب المغرضة عن سحريات وشيطنة اليهود وعن وحشيتهم وغدرهم ، وان كان الكثير من هذه التهم فى محله . كذلك ، نتج عن انفصال اليهود الفكرى انهم لم يتعلموا لغات المجتمعات التى كانوا يعيشون فيها . اذ كان للجيتو لغته الخاصة ، وهى المسماة (Yiddish) . وهى خليط غير منسق من العبرية والالمانية والبولندية والروسية وغيرها من لغات أوروبا . هذا عند اليهود الاوروبيين أو الاشكناز . أما ما يقابل الـ (Yiddish) عند اليهود الشرقيين (أى النازحين من الاندلس أو الشرق الى أوروبا) فكان يعرف بلغة (Ladino) وهى خليط من العبرية والاسبانية .

ويرجع نظام الجيتو الى حجة لاهوتية تمنطق بها المسيحيون فى اضطهادهم لليهود والحكم عليهم بالمعيشة الانعزالية . فمنذ البداية ، اعتبرت المسيحية الغربية اليهود كعنصر من العناصر المكونة للدراما اللاهوتية المسيحية ، أى أن اليهود هم الذين قاموا بصلب المسيح وقتله ، ثم برفضه كمخلص للبشر . ومهما كان من أمر التبشير المسيحى بينهم ، أو من اكراههم على اعتناق هذه المسيحية الغربية ، فانهم لم يحيدوا عن دين آبائهم . ولهذا اعتقد المسيحيون أنه لا بد لليهود من العذاب فى هذه الدنيا جزاء لهم على عنادهم . ولكن المسيحيين الغربيين لم يكونوا يفرحون بدخول اليهود فى دينهم . فهم أرادوا لهم البقاء كيهود معذبين فى الأرض ليكونوا مثلا وتحقيقا لخسران الراغبين عن المسيح ودينه . لذلك حافظوا عليهم اذ كان فى مقدورهم القضاء على الجنس اليهودى برمته (٣) . ففى روما ، مثلا ، كان السكان

---

(٣) Israel Abrahams, **Jewish Life in The Middle Ages.** Philadelphia : The Jewish Publication Society, 1986. London : Goldston & Co., 1932.

Malcolm Hay, The Foot of Pride : The Pressure of Christendom on The People of Israel for 1900 years. Boston : Beacon Press, 1950.

James Parkes, The conflict of The Church and The Synagogue. London The Soncino Press, 1943.

اليهود يقعون فى عهدة البابا بالذات ، يحافظ عليهم ويرعاهم برعايته ، كى يكونوا مثلا حيا للشر الذى جاء المسيح ليخلص البشر منه ، وكأنهم اخوان للشياطين على الأرض فى معرض دائم للبشر أجمع (٤) . وبما أن اليهود تفوقوا على المسيحيين كثيرا فى العلوم الطبية والجراحيـة والكيميائية بسبب اتصالهم بالعرب ونقلهم هذه العلوم عنهم ، حسبهم المسيحيون سحرة وأيقنوا أن ما يقوله لاهوتيوهم من أن اليهود اخوان الشياطين مثبت بالفعل .

كانت هذه النظرة اللاهوتية لليهود بمثابة القاعـدة الأولى لجميع العلاقات المسيحية اليهودية وعلى أساسها تنظمت هذه العلاقات ومن أولى مفترضاتها أنه لا يجوز للمسيحى أن يعمل بادارة اليهودى ، وبالتالى أن يكون موظفا أو عاملا عنده ، مما أدى الى عدم تمكن اليهود من امتلاك الأراضى وتوظيف المسيحيين كزارعين فيها . هذا فضلا عن القانون المباشر بتحريم تملك اليهود للأراضى الزراعية . وترتب عن اقصاء اليهود عن الزراعة وتحريم الربا على المسيحيين وعدم اتصالهم ببلاد الشرق أن اضطر اليهود الى مزاولة التجارة والاستيراد بفضل صلاتهم بيهود الشرق أو الأصقاع الغربية الأخرى عن طريق سكانها اليهود ونبغ اليهود فى عمليات التمويل والبنوك التى لـم يكن الدين المسـيحى يسمح لأتباعه بالتعامل بها . فسـيطروا على الأمـوال ومرافق البلاد ، وكونوا طبقة بورجوازية بين العمال والفلاحين من جهة وبين الملوك وأمراء الاقطـاع والنبلاء من جهة أخرى . فكانوا موضع حقد الأولين وكراهيتهم واتهامهم بامتصاص الأموال والأرزاق ، ثم موضـع الاضطهاد ونزع الأمـوال والضرائب من قبل الآخرين . وبالرغم من فرض ضرائب عديدة ومتنوعة عليهم (مثل ضرائب عن الشخص ، والجماعة ، والحماية ، وضرائب مفروضة على كل بيت ، وضريبة سميت بعشاء الملك فى أسبانيا ، وضريبة

---

(٤) Ferdinand Gregorovius, The Ghetto and The Jews of Rome, tr. Moses Hadas. New York : Schocken Book, 1948, p. 45.

تتويجه في فرنسا ، وضريبة تعيين الموظفين المعنيين بأمور اليهود ، وضرائب البناء والهدم ، وضرائب المرور والمساهمة فى الأسواق ، بل حتى ضرائب فرضت على الموتى وعلى حفر القبور) كانت عائدات اليهود فى انجلترا قبل تحررهم تعادل ١ : ١٢ من دخل الأمة الانجليزية كلها وبلغت أكثر من هذه النسبة فى بلاد أوروبا الأخرى (٥) ٠

الا أن آثار الجيتو فى اليهود لم تكن كلها شرا ٠ فقد ترتبت عليها نتائج حسنة جدا ٠ يرى اليهود أنفسهم أنه لولاها لاضمحل كيانهم وساحت هويتهم فى المحيط الأوروبى ٠ ذلك أن حياة اليهود مع بعضهم بعضا ضمن جدران الجيتو وتعرضهم للمصير الواحد زكى فيهم شعلة تضامن كانت ولا تزال من أقوى وأوثق العرى التى عرفها الانسان ، لا تفصم حتى بالموت ٠ فقد أدي الجيتو الى نشوء وعى جماعى بين اليهود انحصر فى امتثال اليهودى لرؤسائه وتوليته لشعبه أجل الولاء ، ومحافظته على القانون ــ أى التوراة ــ وتحقيق الواجبات المنبثقة عنها ٠

كان هذا التطور مجاريا لمتطلبات الزمن ٠ فقد ساد القرون الوسطى الأوروبية نظام الأسر ، اذ لم يكن للفرد مكان يذكر فى المجتمع سوى كونه عضوا فى هذه الأسرة أو تلك ممن كان المجتمع يتألف منها ، على طريقة القبائل فى المجتمع العربى الجاهلي ٠ فالأسرة الأوروبية كانت منشأ الحقوق الفردية والسلطة التى لا بد من الرجوع اليها فى تطبيق أى حق يقع على الفرد ٠ وكان النظام الأسرى يرتبط أشد الارتباط بالكنيسة بل ويقوم عليها ومنها ، أي أن الأسرة تحصل على هويتها وعلى هوية أعضائها من الكنيسة ٠ فهى القائمة بالتزويج والتعميد والتثبيت ، ولا أسرة ولا وجود بدون هذه المراسم ٠ أما اليهودى فهو بطبيعة الحال غير قابل للانخراط في هذا النظام وبما أنه لا بد له من نظام يعيش به ، أملت الحاجة علي المسيحيين أن يعترفوا بالنظام المللي ٠

---

(٥) المرجع السابق ذكره ، ص ٢٥٤ ، راجع كتاب :
Abraham Leon Sachar, A History of The Jews.

لست أدرى منشأ هذا النظام فى الغرب · قد يكون انبثق عن الحاجة انبثاقا تلقائيا ، وقد يكون طالب به اليهود ، وهم يعرفونه حق المعرفة من النظام الاجتماعى الاسلامى ـ على الاقل أولئك الذين خبروا هذا النظام فى البلاد العربية ـ ثم انتشر فى مدن أوروبا · والنظام المللى يرتكز الى اعتبار اليهود كلهم فى منطقة من المناطق كأسرة أو قبيلة واحدة ، وحصر السلطة والحقوق والواجبات فى رئيس أو مجلس يتولى ادارة أمورها ويمثلها لدى القضاء وسلطات البلاد · فالسلطة الأبوية التى كان يتمتع بها رئيس الأسرة فى القانون الرومانى وضعت بموجب هذا النظام فى الشعب اليهودى كشعب ، وتركوا له أمر تنظيم فعاليتها فى المجتمع اليهودى ·

وكان هذا الحل لمشكلة الكيان اليهودى فى أوروبا فتحا ومعجزة أنقذته ·

فمبوجب هذا النظام كان الحاخام أو مجلس الربابنة المسمى « بيت الدين » يأمر اليهود ويحكم ويحاكم ويسجن ويقتل ويجازى باسم ملك البلاد ، فقامت حياة الجيتو كلها ، من ماكل ومشرب ، ومعاملة وأخلاق ، وحياة وممات ، على القانون ـ أى التوراة ـ مقيدة على كل مستوى · فكانت منظمة الشعب اليهودى هى التى تتولى شئون التعليم وتصرف عليه ، وشئون العبادة فتعين الحاخامين والمفتشين ، وشئون الامن والنظام داخل جدران الجيتو · فهى التى كانت تجبى الضرائب من اليهود لا للامور الداخلية والخاصة فحسب بل للدولة · اذ كانت حكومة الملك أو الامير تفرض الضريبة على الشعب برمته ، وكان للمنظمة اليهودية شأن توزيعها وجبايتها · فهذه المنظمة العامة للشعب اليهودى فى منطقة ما كانت المنظمة الأولية التى تخضع لها أو تتفرع عنها جميع المنظمات اليهودية الأخرى · وكان للمنظمة اليهودية فرع قضائى (بيت الدين) يتمتع بسلطة الدولة فى فرض العقوبات والجزاء على الأفراد اليهود · الا أن سلاحه الأكبر ، السلاح الذى كان يعتبر أشد تأثيرا وبطشا من الموت ، هو سلطته بنبذ اليهودي الخارج على طاعته ، فالشخص المنبوذ

فى ذلك الزمن كان لا وطن ولا أمة له ، عرضة للقتل والسبى والنهب بدون رادع أو حماية ٠ وكان أول ما يتعرض له المنبوذ مصادرة جميع أملاكه وماله من قبل حكومة الدولة لاعتباره « كرجل حرب » ، حسب التعبير الاسلامى ٠

فالجيتو اذن هو أكبر وأهم العوامل التى أدت الى الحفاظ على القانون وبالتالى على يهودية اليهودى ٠ ولم يكن لليهودى اختيار آخر ٠ فاما أن يتنصر أو يعرض نفسه للقتل والسبى والنهب أو أن يطيع أوامر الحاخام ويمتثل لارادة الشعب اليهودى المتجسمة فى التوراة وتعاليمها كما يرويها له الحاخام ويحكم بها عليه أو له ٠ لم يكن للفرد اليهودى أى حق فى تحويل أو تبديل أو تأويل القانون كما رأينا من قبل ٠ ولم يكن له أيضا حق استئناف ما يحكم به بيت الدين ، اذ كانت تقاريره (Takkanoth) سارية المفعول على الجميع ولا مرجع عنها لأى كان ٠



الفصل الثالث

عصر التنويـر والتحرير

١ ـ نحو عهد جـديد :

ظن العلماء الى وقت قريب أن عدم الاتصال بين اليهود والمسيحيين بقى مقطوعا طوال القرون الوسطى الى أن جاء العصر الحديث ٠ الا أن البحث العلمى الحديث فى كثير من مصـنفات ذلك العهد تعطى غير هذا الانطباع ٠

أدت الحروب الصليبية حال انتهائها الى انتعاش فى الحيـــاة الأوروبية على جميع المستويات ٠ اذ انتشرت التجارة بين الشرق والغرب وأخذ الغرب ينهل من مرافق الحضارة العربية ٠ وعلى الأثر ، كبرت المدن وتضخمت ونشـطت الحركة فيهـا ممـا أدى الى نشـوء حضارة مدينية ، لا قروية زراعية ، تعتمد على حركة التجارة ورجالها لا على الكنيسة وأنظمتها ٠ وشدت الحضارة الجديدة الشعوب اليها وكـادت تغير مجتمعاتها من النظام الأسرى الى نظام شخصى تعاملى ينطـوى على اعتبار المواطن بما عمل لنفسه أو عليها ، لا بالأسرة أو الملة التى ولد فيها ٠ ودبت هذه الحياة الجديدة فى مدن ايطاليا ، فكان عصـر النهضة (Renoissanco) ثم تعدتها الى مدن أوروبا الأخرى ٠

وعليه ، زاد الاتصال بين اليهود والمسيحيين لا فى مضمار التجارة فحسب بلى على الصعيد الاجتماعى ؛ فكثيرا ما كان لرجالات عصـر النهضة زملاء يهود ٠ حتى القصر البابوى لم يخل من الزوار اليهود ، لا سيما أثناء بابوية كليمنت السابع (١٥٢٣ ـ ١٥٣٤) ، أحد أعضـاء أسرة دو مدينشى المشهورة ، الذى استضاف اثنين من مدعى النبـوة

اليهود (سليمان مولكو وداوود روبينى) حماهم ضد الاضطهاد القضائى (Lnquisition) (١) .

وفى البندقية ، حسب شهادة رسائل الحاخام ليون داموديناً ، كان يلتقى عدد من الحاخامين ورجالات الكنيسة لتبادل وجهات النظر فى الأمـــور الدينية واللاهـوتية فى جـو من الصـــداقة وحسن النية المتبادلة (٢) ، وتحت هذه الظروف أيضا ، تعرف اليهود على موسيقى المسيحيين . فكلف اليهودى سليمان دوروسى ، وكان عازف كمان فى بلاط أمير مانتوا ، بتأليف عدد من القطع الموسيقية متجانسة تمام التجانس مع موسيقى المحيط النهضوى الايطالى . بل ان الحاخـــام ابراهـــام يوسف جرازيانى قرر لأول مرة فى تاريخ اليهود استعمال الأرغن فى كنيسه بالرغم من القانون التلمودى الذى يعتبر ادخال الآلات الموسيقية بجميع أنواعها على الكنيس اثما وكفرا (٣) .

وكان أكبر مدى للحرية الشخصية ما تمتع به سكان هولندا اليهود ، فالمحظورات على اليهود كانت جد قليلة ، ومن هولندا ، التى آوت أعداداً كبيرة من اليهود النازحين من انجلترا وفرنسا ، عاد اليهود الى الهجرة الى انجلترا واستعمارهـــا بعد أن أطـــاح أوليفر كرومويـــل بالقوانين الاضطهادية المتحكمة بيهود انجلترا منذ أن جاءوها لأول مرة . وفى الواقع لم تتح قوانين انجلترا لليهود التجنس بالجنســـية الانجليزية الا بعد نقض قانون الجنسية لسنة ١٧٥٣ . ومن هولندا أيضا جاء أول مهاجرين الى أمريكا سنة ١٦٥٤ ونزلـــوا فى المســتعمرة الهولندية التى

---

(١) Gecil Roth, The Jews in The Renaissance Philadelphia : Jewish Publication Society 1959, p. 23.

(٢) Ellis Rivkin, Leon da Modena and the Kol Sakhal. Cincinnati : Hebrew Union College Press, 1952, p. 25.

(٣) Grove's Dictionary of Music and Musicians. London : Macmillan & Co., 1954, VII, p. 243.

Abraham Z. Idelsohn. Jewish Music in its Historical Development, New York : Henry Holt, 1929, pp. 196-203.

كانت تسمى نيو امستردام وهى مدينة نيويورك • فهؤلاء اليهود النازحين الى أمريكا لم يكونوا جاءوا من بلاد أقرب ما تكون الى التحرر فحسب ، بل نزلوا فى بلاد لا تعرف الجيتو ولا تشعر بأية قيود تجاه الخبرة الاوروبية فى هذا الصدد ، فكان هؤلاء اليهود أول يهود عصريين .

* * *

٢ ـ حركة التنوير فى أوروبا :

فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وصل نمو قوى عقلية واجتماعية وسياسية كانت قد ولدت خلال عصر النهضة درجة التفجر • فكان عصر التنوير والحركة المسماة باسمه • تقوم حركة التنوير على مبادىء خمسة ، وهى سهلة التناول والفهم ، ألا وهى :

(١) يتالف الكون من عناصر وقوى مرتبطة ببعضها بشكل معقول أى تتحكم فى علاقاتها قوانين تؤلف فى كليتها سنة عقلانية لا تبديل لها • فكل ما فى الكون يخضع لها •

(٢) عقل الانسان يؤهله لاكتشاف قوانين الكون وبالتالى لمعرفة أسراره •

(٣) عقل الانسان وما يقوم عليه من مبادىء عامة كاف لتفهم معانى الكون •

(٤) لا حاجة اذن للعقل الانسانى بأن يرجع الى الوحى أو المعرفة الماورائية ، لادارة حياته وشئون الدنيا •

(٥) وان اعترف بأن ما كل تعقل يصيب قوانين الكون وأسراره فانه يكفى أن عقل الانسان قابل اذا ما هذب ، أن ينفذ اليها • فالانسان جدير بتصحيح أخطائه •

قال مونتيسكيو : « عالم الانسان أقل انصياعا للقوانين من عوالم الحيوان والنبات والجماد ، وبالرغم من أن لهذا العالم قوانينه الخاصة به ، وهى قوانين غير قابلة للتبديل فى حد ذاتها ، لا يمتثل الانسان لهذه القوانين دائما وبدا • يرجع هذا الى أن الانسان كمخلوق وذى طبيعة محدودة ، معرض للخطأ • وهذا بالرغم من أن الانسان تلزمه

طبيعته للحياة ككائن حر . ولهذا ، نجد الانسان لا يمتثل دائما لقوانين عالمه ، بل حتى ولا للقوانين التى يسنها هو لينظم سلوكه فى العالم » (٤) .

ويقول كانت : « التنوير هو الافراج عن الانسان من الوصايات التى فرضها هو على نفسه . والوصاية هى عدم جراة الانسان على استعمال قواه الطبيعية بدون استئذان الغير ، ولم تكن هذه الوصاية مفروضة على الانسان من قبل أحد ، ذلك أنها لا تعتمد على نقص فى العقل بل فى الجراة على استخدامه ... أما الوصاية الدينية ، فهى أرزل الوصايات وأشدها ضررا » (٥) .

وسرت هذه العقيدة فى الفكر الأوروبى سريان اللهب فى القش ، فاعتبر من آمن بها كل انسان آخر متساويا معه فى العقلانية . فبما أن الانسان انسان . وله عقل ، فهو جدير باستخدامه . واذا استخدمه ، وفعل ذلك بأمانة وأصالة ومسئولية ، توصل الى نفس ما يتوصل اليه كل انسان آخر . اذن ، فلا فرق بين البشر ، وكل ما اصطنع من تفرقة بينهم يجب أن يزول سريعا . وسرعان ما طبق هذا الحكم على جميع مرافق الحياة . وسارع العقلانيون المتحررون من نير الكنيسة وتعاليمها الى تطبيق المبدأ المذكور فى موضوع الدين . فهم اعتبروا الفرق بين الدينين المسيحى واليهودى غير ذى بال فى الحياة المدنية . وقالوا : اذا كانت القرارات السياسية يجب أن يتخذها المواطنون باستخدام عقولهم وبتعقلهم للامور ، فما يهم أن يدين المواطنون بأديان مختلفة ؟ واذا كانت

---

(٤) Montesquieu, The Spirit of The Laws, tr. Thomas Nugent, New York : Colonial Press, 1900, Bk I, Section 1, p. 2.

(٥) Immanuel Kant, Foundations of The Motaphysics of Monals and What is Enlightenment ? tr. Lewis White Beck. Chicago : University of Chicago Press, 1950, pp. 286-291.

القرارات الاقتصادية يجب أن يتخذها المواطن حسب ما تمليه مصلحته الشخصية ، وذلك باستخدامه عقله وبتعقله للأمور الاقتصادية ، فما يهم أن يدين المواطنون بأديان مختلفة ؟ وأخيرا ، اذا كان الاختلاط الاجتماعى بين الناس يقوم على تمتعهم بموهبة العقل ويستهدف تهذيب هذه الموهبة واعلامها وتغوير ادراكها وتفهمها للأمور ، فما يهم أن يتكلم ويتحادث ويتجادل ذوو الأديان المختلفة مع بعضهم بعضا ؟ وهكذا ، تداخل اليهود فى المجتمع المسيحى بعد أن انقطعوا عنه طوال القرون (٦) ٠

أما فى أمريكا ، فالأمر لم يحتج الى مثل هذه الحجج ٠ يقول بارون ربلاو ، مؤرخا اليهود فى أمريكا ، بأنه نظرا الى أن وثيقة الاستقلال الأمريكى ، وتصريح جيفرسون حول تأسيس الحرية الدينية فى ولاية فرجينيا ، ودستور الولايت المتحدة ، وقانون حقوق الانسان ــ وهى قواعد الكيان الأمريكى السياسى كله ، تعبر عن وجهة نظر التنوير فى جميع مرافق الحياة ، فان اليهود لم يكونوا يحتاجون الى تحرير فى أمريكا ٠ فهم دخلوها أحرارا واستطاعوا الانخراط فى جميع أسلاكها الادارية والديبلوماسية والعسكرية ٠ وجد اليهود بين موظفى الرئيس واشنجطن ، وبين أول فوج طلبة دخل كلية أمريكا العسكرية ٠ عندما أقيم المهرجان الخاص بابرام الدستور فى فيلادلفيا سنة ١٧٨٩ ، وضعت مائدة خاصة للأطعمة والمرطبات المحضرة على الطريقة اليهودية ، أو الكوشير (٧) ٠

---

(٦) Salo W. Baron, A Social and Religious. History of the Jews : New York : Columbia University Press, 1937, p. 142.

Louis Finkelstein, ed., The Jews, Their Histroy Culture and Religion Philadelphia : Jewish Publication Society, 1949. I, pp. 261, 264-266.

(٧) Joseph L. Blau and Salo W. Baron, The Jews of The United States, 1790 – 1840 : A Documentary History. New York : Columbia University Press, 1964. I, pp. 50, 248-249.

ومع هذا فان دخـــول اليهود فى الحيـــاة السياسية والاجتماعية والفكرية الأوروبية جــاء متقطعا وبطيئا الى أن قامت الثورة الفرنسية وتبعها من تبعها من حملات وفتوحات لنابليون • عندئذ انهدم الجدار الفاصل تماما وراح اليهود يمركزون أنفسهم فى شتى المجالات يؤثرون فيها ويتأثرون بها •

* * *

٣ ــ الرد اليهودى الأول (موسى مندلسون) :

كــان موسى مندلســـون (١٧٢٩ ــ ١٧٨٦) أعظــم من تأثـــروا بأيديولوجية عصره ، أى بالتفتح والعقلانية ، وكان صديقا لاثنين من كبــار رجــالات العصر ، وهما جوتهولد ليسنج وعمانويل كانت (٨) • ولد فى الجيتو فى مدينة دساو فى ألمانيا ونشأ طالبا مجتهدا شديد الفطنة والذكــاء • درس التلمود على يد الحاخـــام داوود فرنكـل وأتمــه فى الرابعة عشر من عمره • ثم ذهب الى برلين ودرس فى معاهدها باللغـات الأوروبية ، ومهد ليسنج لصديقه مندلسون الدخول فى الصالونات الأدبية • وما أن جاءت سنة ١٧٦٣ الا وكانت له سمعة أدبية كبيرة نال ازاءهـــا جائزة أكاديمية العلوم البروسية متفوقا حتى على الفيلسوف كانت أحد المتسابقين معه • وأنعمت عليه الحكومة البروسية بلقب (Schutzjude) أى يهودى ذى حماية خاصة • وكان أيضا شديد التمسك بتراثه اليهودى والحرص عليه • وأول ما تطرق لذهنه أنه طالما أنه هو استطاع أن يحيا التراثين ويعرفهما حــق المعرفة ، فلم لا يقــدم اليهود على درس مواضيع هذا العصر والتقدم بأنفسهم ودينهم الى الأمام ؟ فالى هـــذا الهدف كرس مندلسون جهوده • وكان أول ما قام به ترجمة التلمـــود للألمانية ، كى يتسنى لليهود الذين تعلموا الألمانية فأحبوها ولم يتعلموا العبرية التعرف على تراثهم وقانون حياتهم من جهة ، وللألمان التعرف

---

(٨) انظر تفاصيل حياة مندلسون فى كتاب :
Hermann Walter Moses Mendelssohn, Critic and Philosopher, New York : Bloch, 1930.

ثم فى أية دائرة معارف يهودية تحت اسمه •

على الدين اليهودى واحترامه • ويبـــدو أن مندلسون وعى دوره فى التاريـــخ كـدور الوسيط بين ثقافتين : الألمـانية الحديثـة واليهودية التلمودية •

وأسس مندلسون مجلة هاميعاسف (المجمع) لنقل الثقافة الألمانية الى اليهود باللغة العبرية مستهدفا تثقيف المحافظين والمسنين من شعبه الذين لم يتعلموا الألمانية • وكذلك أسس « المدرسـة اليهودية الحرة » سنة ١٨٧١ فى برلين للقيام بنفس الهدف ، وأقام التدريس فيها فى مواضيع عصرية وتلمودية • وكان دائما يرى نفسه كسفير غير رسمى من اليهود الى الأمة الألمانية •

أما تأثر مندلسـون بالفكر الغربى الحديث فكـان عميقـا بعيـــد المدى ، بل انه سابق لذلك الفكر فى أمر علاقة الدين بالدولة • ففى كتابه المعنون « أورشليم » والمنشور سنة ١٧٨٣ ، قدم رأيه فى هذه القضـية مدعما بحجج قوية مبنية على منطق نفعى • فهو يقول انه اذا أريـــــد للمواطن من موظف أو سياسى أو تاجر أو زارع أو عامل أو جندى ، أن يحسن القيام بالواجب القومى المنوط به ، يجب عليه أن لا ينظر فى أمر الدين ، بل أن ينحيه عن المجالات العملية • واذا أريد أن يتمتـع المواطن بحرية الفكر يعمل بها خلاقا فعالا ومفجرا لطاقاته ، وجـــــب أن ينحى الدين عن المجالات النظرية أيضا • وفى النصف الثانى من كتابه « أورشليم » ، تصور مندلسون الدين اليهودى كشريعة فقط ، لا كعقيدة وحيية • فالمبادىء والقصص التاريخية فى التوراة ليست فى رأيه من العقيدة اليهودية • فقط الشريعة ، أى القانون الخاص باليهود جدير بالايمان • والشريعة لا تقول لليهودى ما يجب أن يؤمن به بل ما يجب عليه فعله (٩) ، وبديهى أن مندلسون أراد بهذا الموقف أن يحرر المفكر

---

(٩) يقول مندلسون : « أنا لا أؤمن بأية مبادىء سوى التى يتفهمها العقل الانسانى والتى يمكن تبيانها وبرهنتها للفكر الانسانى • لقـــد أخطأ من ظن أنى بقولى هذا خرجت على دين الأجداد • يترتب مثـل هذا الظن على ادراك خاطىء للدين اليهودى ، بل الأمر على عكس ذلك فهذا أمر لازم للدين اليهودى وهو يختلف بذلك تمام الاختلاف عن الدين المسيحى •

من قيوده الدينية وأن يبقى السلوك مقيدا بهذه القيود . فالفكر يجب أن يعمل بنفسه ويتقبل ما يشاء دون اكراه . لذلك ، لا عقيدة بالمعنى المسيحى ولا معجزات . أما السلوك فلا بد له من التقيد بشريعة اليهود كما تلقاها موسى وبلورها الحاخامون فى التلمود . الا أن مندلسون آمن بالبعث لكن على أساس عقلى شبيه بتفكير عمانوئيل كانت فى هذا المضمار .

* * *

٤ ـ تحرير اليهود :

كانت بداية **التحرير العملى** فى الميادين السياسية والمدنية ما أبرمه جوزيف الثانى ، امبراطور النمسا ، من قوانين واتخذه من اجراءات تجاه يهود بلاده . اذ نقض الضرائب الخاصة المفروضة على اليهود ، وأعفاهم من لبس العلامة الصفراء المميزة ، وأعلن أن على اليهود التجاوب مع هذه الاجراءات الجديدة . فاذا هم انصهروا فى جسم الأمة النمساوية ، أكمل الامبراطور تحريرهم ورفع عنهم كل نير . وطلب الامبراطور الى اليهود أن يتخذوا أسماء عائلية وأن يكفوا عن تسمية أنفسهم بأسماء آبائهم . الا أن اليهود لم يستجيبوا لهذه الاجراءات . فاستغلوها لصالحهم وتداخلوا فى حياة البلاد الثقافية والاقتصادية والسياسية وتمركزوا فيها بدون أن يغيروا أسماؤهم ودون

= وباختصار يمكننا القول بأن الدين اليهودى لا يعترف بأية عقيدة من وحى السماء بالمعنى المفهوم عند المسيحيين . فلليهود شريعة الهية ، قوانين وأوامر ، وسنن ومبادىء أخلاق وسلوك ترمى الى تحقيق السعادة فى الدنيا والآخرة . وهذه كلها أوحيت اليهم من قبل موسى بطريقة عجيبة ، ما ورائية . ولكنها ليست عقائد ، ولا حقائق ترمى الى الخلاص ولا مبادىء عامة قابلة للبرهان العقلى ، فالحقائق والمبادىء العامة لم يوحى بها الينا فحسب بل لجميع البشر ، وهى من النوع المستمد من الله ، والطبيعة والتاريخ ، وليس بالكلمة أو الكتاب » . كما جاء فى كتاب :

Moses Mendelsohn «Jerusalem», Part II Gesammelte Schriften. Leipzig, 1843, III, p. 319.

أن يعتبروا أنفسهم مواطنين نمساويين بكل معنى الكلمة . بـل بقـوا يترفعون عن المسيحيين ، يدخلون بيوتهم ومدارسـهم وتجاراتهـم ولا يبيحون لهم دخول بيوت اليهود ومدارسهم وتجاراتهم فأخـذت الحكومة تطلق عليهم أسماء جديدة دون اعتبار لرغباتهم ولا تعترف لهم بغير هذه الأسماء . ومن هنا جاءت معظم أسماء اليهود الألمانية فى أوروبا وأمريكا (١٠) .

الا أن التحرير على نطاق واسع لم يتم الا بعد الثورة الفرنسية . وقـد ابتـدأ فى فرنسـا عندما قـررت الجمعية الوطنية الفرنسـية فى ٢٧ سبتمبر ١٧٩١ اعتبار اليهود المقيمين فى فرنسا مواطنين لهم كل حقوق المواطن وعليهم جميع واجباته ، اعتمد هذا القرار على وثيقة حقوق الانسان والمواطن التى تقبلها الشعب الفرنسى اثر الثورة ، والتى قالت :

أولا : ان الانسان خلق حرا ومتساويـا مـع الناس جميعـا فى الحقوق . فالتمييز المدنى يجب أن لا يقوم الا على أساس الخدمة العامة التى يقدمها المواطن للوطن .

ثانيا : أن الهدف الأخير لجميع التجمعات السياسية هو المحافظة على حقوق الانسان الطبيعية كاملة ، ألا وهى الحرية والملكية الفردية والأمن ومقاومة الظلم ...

ثالثا : لا يعترض رجل بسبب آرائه ، حتى ولا بسبب آرائه الدينية ومعتقداته ، بشرط أن لا يؤدى اعتناقه بها الى الاخلال بالأمن ونظـام القانون (١١) .

---

(١٠) Cecil Poth, **A Short History of The Jewish People.** London : East & West Library, 1948, p. 339.

(١١) انظر تفاصيل البحث فى كتاب :

Georges Lefebure, The Goming of The French Revolution, tr. R. R. Palmer. Princeton : Princeton University Press, 1947 pp. 169-181, 221-223.

وجاءت اجراءات تحرير اليهود تترى بعد كل فتح من فتوحات الجيش الفرنسى ٠ ففى سنة ١٧٩٦ ، بحث البرلمان الهولندى أمر تحرير اليهود تحت ضغط من السفير الفرنسى ٠ وما أن جاءت السنة التالية حتى انتخب اليهود لعضوية البرلمان ٠ وفى نفس العام تحرر اليهود فى ايطاليا ٠ الا أنه تأخر فى بروسيا الى سنة ١٨١٢ ، وبعد هزيمة فرنسا فى روسيا وانحلال الامبراطورية النابليونية ، عادت الدول الى اقصاء اليهود عن مكاسبهم السياسية والمدنية ، ما عدا فرنسا وهولندا ٠ ولكن سرعان ما أبرمت قوانين جديدة أعادت لليهود حريتهم ، ففى سنة ١٨٧٠ ، لم يبق فى أوروبا كلها يهودى واحد غير محرر ٠

* * *

٥ ـ مشكلة التحرير الكبرى :

وكان سهلا على اليهودى قبل التحرر أن يعيش كيهودى وأن يقيم التوراة والتلمود فى حياته وفكره ، كما رأينا من قبل ٠ أما الآن وقد تحرر ، وأصبح لا يهوديا فحسب مقيما كأجنبى فى بلد غريب ، بل يهودى ألمانى ويهودى فرنسى ويهودى هولندى ، تعثر الطريق أمامه وشق ٠ فما معنى أن يكون يهوديا يدين للقانون من جهة وألمانيا أو فرنسيا يدين بالولاء لوطن وحكومة ودولة وثقافة وحضارة مغايرة لما عرفه فى توراته وتلموده ؟ ولم تخل حياة اليهودى فى أوروبا من مشاكل ألزمته طرح هذا السؤال على نفسه فى كل صباح ٠ وهذه هى المشكلة الأولى ٠

أما المشكلة الثانية ، فهى تتعلق بعلمانية الدول الأوروبية المحررة لليهود ٠ علينا أن نذكر أن تحرير اليهود لم يأت الا نتيجة لنمو العلمانية فى التنظيم السياسى والاجتماعى ٠ اذ أن اقصاء الدين عن السياسة والاجتماع والاقتصاد أدى الى اعتبار المنفعة العامة والانتاج والخبرة والأهلية كأسس لجميع المعاملات والتنظيمات ٠ ومن هنا جاء قبول اليهود على أساس كفاءتهم الشخصية ٠ وتماسك أفراد الأمة الواحدة ، بما فيهم اليهود ، لا على أساس الدين ، بل على أساس وجودهم فى الوطن ، وعمومية المنفعة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بينهم ٠

فالجغرافيا والاقتصاد حلتا محل الدين فى تكوين الدولة . الا أن هذه العلمانية نظرية نبعت من الخبرة المسيحية ، لا من الخبرة اليهودية . فالدين اليهودى لا يفهم أن يكون العمل الاقتصادى ـ ككسب العيش مثلا ـ عملا لا يمسه الدين بصلة ، وهو لا يفهم أيضا بالنظر لعنصريته وانفراديته وجماعيته أن يكون العمل السياسى ـ كحفظ الأمن والخدمات العامة مثلا ـ عملا لا يمسه الدين . كيف ذلك والدين اليهودى كله يقوم على انفرادية اليهود عن البشر أجمع ؟ أما المسيحى الأوروبى ، فقد قسم حياته الى دوائر وجعل بينها سدودا تمنع أى اتصال . وتجرى الحياة فى كل من هذه الدوائر بموجب قوانين خاصة بها لا علاقة البتة للدائرة الواحدة بما يجرى فى الدوائر الأخرى . فالعائلة والأخلاق الشخصية والدين والاقتصاد والسياسة والاجتماع ، كل واحدة منها تؤلف ملكوتا مستقلا . فالويل كل الويل اذا سمح الغربى لمبادىء الدين أن تتعدى حدودها للتأثير فى الاقتصاد . ويالها من مصيبة اذا تعدت مبادىء الدائرة الاقتصادية حدودها للتأثير فى الدين . والواقع ليست العلمانية سوى الاعتراف بأن ليس هنالك مبدأ عام يشمل حياة الانسان بكاملها كما هو الحال فى النظرة الدينية ، فأصبح لكل دائرة من دوائر الحياة مبدأه الخاص .

ولا بد أن تؤدى العلمانية عاجلا أم آجلا الى اقصاء الدين بالمرة أو احالته الى عالم الخرافات البالية والتاريخ القديم . فالانسان الذى يرى نفسه متفقا مع جميع أبناء أمته فى جميع الدوائر ما عدا واحدة . لا بد له من أن يميل مع الوقت الى التغلب على هذا التمييز ليمحيه . فما هو مكان هذه الدوائر الدينية من الحياة ، اذا كانت فاعلية مبادئها مقصورة على التعبد الطقسى وبعيدة عن مجالات الحياة الأخرى ؟

صحيح أن حركة التحرير جلبت منافع كبيرة لأفراد اليهود ولجماعتهم بعد أن مكنتهم من الدخول فى حومات الحياة بل حتى من السيطرة عليها فى المجتمعات الغربية . أما الأمة اليهودية كأمة ، فان التحامها وتلاصقها ببعضها أحدث التحرر فيه تصدع كبير . فبينما كان اليهودى لا كيان له سوى كعضو فى الأمة اليهودية وكمحقق لملزمات الدين اليهودى

فى جميع مجالات الحياة ، أصبح معظم كيانه بعد التحرر فى عضويته فى الأمة القومية التى ينتمى اليها حيث ملزمات الدين اليهودى وقانونه لا فاعلية لها ولا أهمية . فقد أذاب التحرير الأمة اليهودية كامة وأذابت العلمانية الجديدة علاقة الدين بالحياة . فالسؤال الذى يجابه اليهودى فى العصر الحديث هو : كيف لليهودى الاحتفاظ بمكاسب التحرير دون التطويح بالأمة اليهودية والدين اليهودى ؟ أو كيف لليهودى المتحرر أن يتفهم ولاءه لأمته ولتراثه القانونى والروحى ؟

هذا هو ما يحاول مفكرو اليهود الاجابة عنه فى العصر الحديث ، وهو السؤال الذى انقسم اليهود فى الاجابة عنه الى ملل ثلاث : الملة الاصلاحية ، والملة الأرثوذكسية ، والملة المحافظة . حتى حركة الصهيونية السياسية التى شملت أتباع الملل الثلاث يعتبرها بعض المفكرين اليهود محاولة أخرى للجواب عن نفس السؤال . ولعلها كذلك .

قال مندلسون ، مواجها القضية بعينها : أيها اليهودى . وافق دستور الدولة واعمل بجميع عادات وقوانين البلد الذى تحل فيه . ولكن فى ذات الوقت ، كن أمينا على دين آبائك وأجدادك (١٢) . هذا سهل . أما تحقيقه فصعب جدا . ويقول يوسف بلاو ، مؤرخ الدين اليهودى فى العصر الحديث : ان جميع ما كتبه اليهود فى جميع الملل والمدارس خلال هذا العصر يمكن اعتباره هوامش على هذه الملاحظة البسيطة لموسى مندلسون (١٣) وسنرى تفاصيل ذلك فيما يتبع .

* * *

---

(١٢) الكتاب السابق ذكره ، (Moses Mendelssohn) ، صفحة ٣٥٨ وما يليها من الجزء الثالث .

(١٣) الكتاب السابق ذكره ، (Joseph Blau) ، صفحة ٢٧ .

الفصل الرابع

الملــــة الاصـــلاحية

١ ـ نشأة الملة الاصلاحية :

من أغرب طبائع البشر أنهم لا يمتثلون لاكراه ولكنهـم يمتثلون اليوم طوعا لما قاوموه بالأمس وقد فرض عليهم كرها ، كان المسيحيون يكرهون اليهود فى القرون الوسطى على التجمع ثلاث مرات فى السنة كى يبشر فيهم أحد قساوسة الكنيسة (١) • فلم يجـد هذا الاكراه شـيئا ، أما وقد حضر بعض اليهود والربابنة طوعـا وعن رغبـة منهم الطقوس التعبدية المسيحية فى الكنائس ، خرجوا منها غاضبين على طقوسهم الدينية وغير سعيدين بها (٢) • كانت الصلاة اليهودية طويلة جدا اذا أضيفت الى تلاوة التوراة قراءة قصائد تعبدية لا أول لهـا ولا آخـر ، تسمى « بيوتيم » • وكان المنفى قد حرمهم استعمال أية آلة موسيقية فى الكنيس اليهودى وأصبح تحريم الموسيقى أمر لا يقبل الجدل • ومع هذا فقد مر بنا أن سليمان دوروسى أضاف أرغنا وكورال أطفال ونساء الى كنيس مانتوا بايطاليا مقلدا بذلك الكنيسة المسيحية •

والحق ، أنه منذ أن ابتدأ اليهود يتعرفون على الطقوس الدينيـة المسيحية ، أصيبوا بشعور ضعة طقوسهم اليهودية اذا ما قورنت بالأولى ، ولم يعودوا يتذوقون قراءة القوانين اليهودية وشروحها الطويلة المملة • وبما أن اليهـود أقبلوا على تعلم اللغـــات القومية فقـد نسوا العبرية وأصبحوا لا يفقهونها وبهذا أصبحت الطقوس اليهودية سلسلة طويلة من

---

(١) الكتاب السابق ذكره (Israel Abrahams) ، صفحة ٤١٨ •

(٢) الكتاب السابق ذكره (Cecil Roth) ، صفحة ٣٧٥ •

التمتمات غير المفهومة (٣) . وكذلك ، لم يكن تدريس اللغة العبرية فى المدارس اليهودية ليؤهل الناس لتفهم ما يقال فى صلاتهم . وذلك أن التعليم اللغوى انحط لدرجة أنه لم يكن يتعدى حفظ بضعة مقتطفات من التوراة غيبا (٤) . ولذلك وجه مندلسون اهتمامه الى تدريس اللغة العبرية فى حملته لاصلاح شأن اليهود . فقد كان رائده الأول جعل اليهود يفهمون دينهم ويساهمون فى طقوس الكنيسة بشكل فعال . وكما نذكر ، كان مندلسون شديد التمسك بالقوانين والطقوس . فلا غرو أنه أراد تغيير المصلينَ ، لا الصلاة (٥) . الا أن أتباعه لم يولوا التراث اليهودى مثل هذا الولاء . لذلك رأوا اصلاح الدين نفسه . وأول أتباع مندلسون الذين طالبوا بتغريب أو فرنجة الطقوس اليهودية داوود فريد لاندر (١٧٥٦ ــ ١٨٣٤) ، اذ قال : أصبحت صلوات اليهود على مرور الزمن أسوأ فاسوأ . فالأفكار التعبدية اليهودية أصبحت ملتبسة على الناس بما اعتراها من التصوف ومبادىء المقابلا المناهضة لروح الدين اليهودى الحقيقية . وكذلك لغة الصلوات فهى أصبحت مؤذية للأذن وحافلة

---

(٣) يقول صمويل بيبيس فى مذكراته يصف احتفالا دينيا فى كنيس اليهود السفارديم فى لندن : « ... كان طقسهم الدينى وتعبدهم كله تمتمة وغناء بالعبرية بينما يحمل التوراة عدد من الرجال يجوبون بها القاعة ذهابا وايابا ... ولكن يا الهى ! ياللفوضى ، يا للضحك ، يا للهزار ، ويا لعدم الانتباه الذى يعترى المصلين اليهود أثناء صلاتهم . وكانت صلاتهم كلها وتعبدهم فوضى لا أول له ولا آخر . حقا ، انهم يشبهون الرعاع ، ولا مثيل لهم بين الناس الذين يعرفون الاله الحق ... » .

Everybody's Pepys : The Diary of Samuel Pepys 1660 — 1669, ed E.H. Shepard. New York : Harcourt, Brace & Co, 1926, p. 209.

(٤) David Philipson, **The Reform Movement in Judaism.** New York : Macmillan, 1907, p. 23.

(٥) الكتاب السابق الذكر (Hermann Walther) ص ١٤٦ ــ ١٤٨ .

بالاخطاء اللغوية . من حسن الحظ أن الأكثرية الكبرى من اليهود لا يفهمون منها شيئا . ولو فهموا لتاثروا بها الى الأسوأ (٦) .

وكان أول من استعمل لغة غير العبرية فى الطقوس الدينية ، كنيس عادات يشورون بامستردام بهولندا سنة ١٧٩٦ . الا أن الاصلاحات الاخرى لم يؤخذ بها فى ذلك العهد . لم يكن اصلاح الطقوس نصف المشكلات أو ربعها بالرغم من انصباب الاهتمام كله عليها . والواقع أن اليهود فى ذلك الزمن لم يكونوا مستعدين لخوض بحث عن هذا القبيل . اذ كان الشعب وحاخاموه يجهلون تاريخ التعبد اليهودى . فكيف لهم اصلاحه بشكل جدى ؟ وعلى كل ، أخذ اليهود ، بعد أن تفرنجوا ، يصبون حمم غضبهم على العناصر الشرقية فى الطقوس ويطالبون بحذفها كى تصبح أكثر تشبها بالطقوس البروتستانتينية المسيحية . لكن المعارضة كانت قوية ومسموعة . لذلك تأخر قيام حركة الاصلاح بتأسيس الكنائس واعتبار نفسها ملة .

وكان أول ما قامت به الحركة من اصلاحات فى الطقوس ، ما أجراه الحاخام اسرائيل جاكوبسن فى مدينة زيزن فى ألمانيا حيث أسس مدرسة الصبيان اليهود رتب فيها الطقوس الدينية كما كان يهواها لا كما تعلمها من الأجداد (٧) . وكان تدشين المدرسة سنة ١٨١٠ بمثابة بداية الملة الاصلاحية (٨) ، وان كانت بدائية ، أما تدشين المعبد الاصلاحى فى هامبورج سنة ١٨١٨ ، فهو حقا موعد دخول الحركة الاصلاحية فى التاريخ كحركة دينية كاملة ، لها معبدها وتابعوها وقوامها القانونى

---

(٦) W. Gumther Plaut, The Rise of Reform Judaism New York : World Union for Progressive Judaism Ltd., p. 11.

David Freidlander, **Sendschreiben an . . . Probst Teller,** Berlin 1799, p. 61.

(٧) الكتاب السابق ذكره (David Philipson) صفحة ١٩ — ٢٢ .

(٨) الكتاب السابق ذكره (W. G. Plaut) صفحة ٢٩ أو مجلة سولاميت السنة الثالثة (١٨١٠) العدد ١ ، صفحة ٢٩٨ .

الخاص بها • وكان ادوارد كلاى (١٧٨٩ – ١٧٦٧) وكارل سيجفريد جونسبرج (١٧٨٨ – ١٨٦٠) قد أنتجا سنة ١٨١٧ أول كتاب صلاة باللغة الألمانية فبمناسبة افتتاح معبد هامبورج نقح هذا الكتاب وأعيد نشره معيارا للصلاة حسب الملة الاصلاحية (٩) • وقد وضع فى هذا المعبد أرغن يعزف أثناء الطقس والكورال يغنى •

❊ ❊ ❊

٢ – الفكر الاصلاحى :

ان المشكلة الفكرية الكبرى التى تعرض لها الفكر الدينى اليهودى والمسيحى فى القرن التاسع عشر هى ما تعرض له العهد القديم من الكتاب المقدس للنقد • فمنذ أن حل شامبليون رموز حجر رشيد وأخذت الحفريات تنقب عن آثار الأقدمين سواء فى مصر أو فلسطين وسوريا ولبنان والعراق ، أخذت علوم الشرق القديم ، من تاريخ وجغرافيا وأدب ولغة ودين وميثولوجيا تتدفق على الأوساط العلمية الغربية • وقد أسفرت هذه العلوم عن حقائق كثيرة ثبت بعضها ما جاء فى الكتاب المقدس ونقض الكثير منه • وزاد الطين بلة نشأة العقلانية وسيطرة فلسفتها على تفكير العصر كله ، مما أدى الى اضعاف الادعاء الدينى بأن الكتاب المقدس وحى يجب تصديقه وان تخالف مع العقل • هذا وان العلوم الطبيعية كانت قد أجرت خلال القرنين السابقين تجارب كثيرة ناقضت الكتاب المقدس فى مواضع عديدة •

لهذه الأسباب ، أصبح الكتاب المقدس مشكلة شائكة لكل من يهمه أمر الدين ، سواء أكان من المسيحيين أو اليهود • فما معنى أن يكون كتاب الدين الأول الذى كان يعد وحيا نزل من السماء وخطه موسى بيده ، مليئا بالأخطاء الحسابية منها والجغرافية والتاريخية والعلمية ؟ ما معنى الوحى اذا ثبت أن الكتاب المقدس جاء من عصور مختلفة ومن أقلام شتى تناقض بعضها بعضا ؟ وما معنى الوحى اذا ثبت أن فى الكتاب

---

(٩) الكتاب السابق ذكره (Philipson) ، صفحة ٤٢ وما يليها ، وكذلك فى الكتاب السابق ذكره (Plaut) ، صفحة ٢٩ – ٣٣ •

المقدس أحكاما وسننا وقصصا على جانب عظيم من المهانة والرذيلة وسوء الاخلاق التى لا يتقبلها عاقل تقى ؟

سعيا وراء تخليص الكتاب المقدس من نقد مبرم ورفض تام بل وسقوط محقق ، راح علماء الدين المسيحى ينتحلون النظرية تلو النظرية فى جميع الحقول محاولين تفسير وتأويل نصوص الكتاب المقدس . فعلماء التاريخ القديم وعلماء الآثار وعلماء اللغة كانوا يشنون على الكتاب المقدس حملات نقدية عنيفة كانت محط ونظر وفكر العامة والحكومة فى ألمانيا وانتهى الامر بعلماء العهد القديم الى تغيير معنى الوحى . كان الوحى كلمات معبرة عن أفكار أو حقائق يتلقاها النبى مباشرة ويعطيها للتاريخ ، أما الآن فأصبح الوحى أفعال يقوم بها الفرد أو الشعب المختار فتؤدى الى أفعال أخرى فى التاريخ نهايتها وذروتها مجىء المسيح وصلبه وقتله فداية للبشر ، بهذا الحل . استطاع العلماء المسيحيون تقبل كل ما جاء فى العهد القديم على علاته ، مدعين أنه مجرد سجل ، فى بعضه شىء من الالهام فقط ، للافعال الوحيية ، أى للتاريخ اليهودى برمته ، وهو سلسلة الافعال الفردية والجماعية التى أدت فى نهاية الامر الى فدية المسيح .

هذا هو حل مسيحى . الا أن اليهود لم يكونوا يستطيعون رفضه كله ، وان كان لا بد من رفض المسيح وقصة فدائه . ولا بد لهم من الابقاء على النقد وهو حصيلة العلوم المتعلقة بالشرق القديم ، ولكن كيف لهم التوفيق بين النزعة العلمية النقدية وبين ولائهم للتوراة والقانون الذى ورثوه .

قام فى برلين سنة ١٨١٩ حوالى خمسين يهوديا مثقفين يدعون الى أن اليهودية وتاريخها وأدبها وتراثها الثقافى وأوضاعها الحالية يمكن أن تدرس دراسة موضوعية ، نقدية ، علمية بدون التعمد الى الهدم والنقض ، كما تدرس فى مناهج الجامعات العلمية ، سموا جمعيتهم :
Verein fur Kultur und Wissenchaft des Juden thums

ونجحوا بالفعل فى تاسيس مجلة : Zcitschrift fur dis Wissen-shaft Judenthums سنة ١٨١٢ وفى تشجيع عدد من الدراسات ، منها دراسات اسحاق ماركوس يوست (١٧٩٣ — ١٨٦٠) وليوبولد تسونتس (١٧٠٤ — ١٨٨٦) ، وكان الأخير حاخام الكنيس الاصلاحى فى برلين ٠

وفى سنة ١٨١٧ ، أغلقت الحكومة البروسية هذا الكنيس الاصلاحى تحت ضغط المحافظين اليهود ٠ واستند أمر الاغلاق الى أن اليهودية دين مقفل منذ مجىء المسيح وأن ليس له حق التطور وتجديد نفسه ٠ وراح تسونتس اثر هذا التصريح يدرس ويبحث راجيا الوصول الى ما يثبت بطريقة علمية أن الدين اليهودى أصالة وأنه سبق أن جدد نفسه وطقوسه بالماضى وجارى العصور ٠ ووضع هذه الأبحاث فى كتاب عنوانه :

Die Goitesdienstlichen Vortage der Juden, historisch entwickelt

(أى التطور التاريخى للخطبة والوعظ فى الدين اليهودى) نشره سنة ١٨٣٢ ٠ ولا شك أن هذا البحث دعم الموقف الاصلاحى ٠

وكذلك ألف سليمان لودفيج شتاينهايم (١٧٩٠ — ١٨٦٦) كتابه :

Die Nffenbarung nach dem Lehr Begriff der Synagoge

(أى الوحى حسب تعاليم الكنيس اليهودى) سنة ١٨٣٥ ، مستندا على فلسفة كانت الحدسية لدعم الايمان بالشرائع التلمودية ورادا على النظرية المسيحية للوحى ٠ وأغرب ما جاء به هذا الحاخام العالم من تجديد هو أن الوحى — وهو كلمات يوحى بها من عل — لم يات كله دفعة واحدة ، بل على دفعات ٠ جاء بعضها فى العصور الغابرة وسجل فى الكتاب المقدس ، مخلوطا بالكثير مما هو ليس بوحى ٠ ولهذا ، لا يمكن التمييز بين الوحى الصحيح وما لفق بانه وحى سوى بالايمان ٠ أى باتخاذ ما يؤمن اليهودى أنه وحى حسب ايمانه الخاص ٠ وأن ليس ما يثبت

وجود هذا الايمان عند الفرد سوى قيامه بما يمليه ايمانه من سـلوك وتطبيع أخلاقى (١٠) ٠

واستفادت الحركة الاصلاحية من تفكير شتاينهايم :

أولا : أن نظريته تتيح الفرصة لكى يوجد فى هذا العصر ، كى يتبلور الدين من جديد ويجارى الزمان والمكان ٠ وهذا مبدأ يفيد حركة الاصلاح ضد ادعاء أعدائها بـأن الوحى جـاء وانتهى أمـره فى الكتاب المقدس ٠

ثانيا : أنه طالما أن الوحى اختلط بغير الوحى فى الكتاب المقدس ، فيجوز لليهودى المعاصر أن يختار مـا يشـاء اتباعه من أحكامه ، وأن لا يعارض جيل سابق ما يرتأيه الجيل اللاحق من تغييرات فى الطقوس والأخلاق والعادات ٠

وجاء بعد ذلك صموئيل هولدهايم(١٨٠٦ ـ ١٨٦٠) يؤكد أن ما بين شريعة سماوية وما من وحى الهى الا أنزل لوقته ومكانه فقط ٠ قال : « ان العصر الحاضر يقتضى مبدأ صريحا بينا بأن القانون ، وان كان الهيا ، له السلطة والحق فقط طالما أن أوضاع الحياة التى جـاء لمعالجتها مستمرة ٠ وعندما تتغير هذه الأوضاع ، يجب أن ينسخ القانون حتى وان كان الله صاحبه ومشرعه ، ذلك لأن الله أثبت بدون شك أن باختلاف الأوضاع والشروط التى من أجلها شرع قانونه ، يتوقف العمـل بذلك القانون ٠ اذن فالقوانين الالهية لا تتبع الآن لأنها عاجزة عن أن تفرض نفسها » (١١) ٠ وقال أيضا : « يتكلم التلمود بأيديولوجية العصر

---

(١٠) راجع المقال عن المؤلف المذكور فى الموسوعة اليهودية ، الجزء ١١ ، صفحة ٥٤٣ وما يليها ٠ وانظر :

Jacob B. Ague, **Modern Philosophies of Judaism : A Study of Recent Jewish Philosophies of Religion.** New York Behrman's Jewish Book House, 1941, pp. 11-16.

(١١) كذلك فى الكتاب السابق ذكره ليوسف بلاو ، صفحة ٣٧ وهـو قول مأخـوذ من كتاب فيليبسون : (The Reform Movement) السابق ذكره ص ١٨٠ ٠

الذى جمع فيه . فصلاحيته مقتصرة على ذلك العصر . أما أنا فاتكلم من وجهة نظر الايديولوجية العليا لهذا العصر . لذلك ، فأنا محق ولى الصلاحية لعصرى » (١٢) .

* * *

٣ ـ ابراهام جايجر :

ويعتبر ابراهام جايجر (١٨١٠ ـ ١٨٧٤) أكبر مفكرى الحركة الاصلاحية . وقد بنى نظريته على تفكير اللاهوتى الألمانى فريدريش شلايرماخر ، ونحا نحوه بتركيز الدين كله على الشعور ، وعلى التقوى الشخصية ، مستوحيا ما قاله المتصوفون اليهود فى القرون الوسطى من قابالا وحاسيديم . وكان يتوخى جايجر قطع المحافظين فى تقديسهم للطقوس والقوانين التلمودية . الا أنه هو أيضا جاء بتجديد غريب فى الدين اليهودى ، اذ قال ان بين الشعور القومى اليهودى والعالمية كان ضغط تقابلى أدى الى ارساخ فكرتى « الشعب المختار » و « العالمية » . وان هذا الضغط أدى فى حركته عبر العصور الى نسخ فكرة الشعب المختار وتقوية العالمية . وعليه يمكن الآن حذف جميع الاشارات الى خصوصية الشعب اليهودى من كل طقوس الدين وعقيدته وأخلاقه وأدبه . وأكد جايجر أنه اذا تم ذلك الحذف ، فما من شىء يحول دون انصهار اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها ، وبالتالى حذفت العبارات المشيرة الى صهيون والى العودة اليها من الطقوس الدينية فى كنيسه فى برلين ، أما فكرة المسيح الذى يؤمن اليهود بأنه آت ليعيدهم الى صهيون ويتملك عليهم هنالك فى دولة سياسية عسكرية تتحكم بالبشر أجمع ، فقد حورها جايجر حتى أصبحت تعنى عصرا مخلصيا للعالم ، يشترك فيه الآدميون فى كل مكان لاحقاق الحق .

وسعيا وراء توحيد كلمة وصف المنتمين الى الحركة الاصلاحية ، ذعا

---

(١٢) فيليبسون ، الكتاب السابق ذكره ، صفحة ٤٣ ، ماخوذ من كتاب المفكر نفسه :

S. Holdheim, Das Ceremonialgesetz in Messiasreich, Schwerin, 1845, p. 50.

جايجر سنة ١٨٣٧ الى اجتماع عام للربابنة الذين يميلون للاصلاح • وكان رأيه أنه اذا استمر الحاخامون يحذفون من التراث الدينى ما يشاؤون بغير حساب ، فالنتيجة الحتمية ستكون تفتت الدين والقضاء عليه • وعقد الاجتماع بالفعل فى فيسبادن فى السنة ذاتها • ومع أن المؤتمر لم يكن ليشرع بل ليشرح ويقترح ويبحث فقط ، لم يؤت أية ثمار تذكر • وعقدت مؤتمرات أخرى لنفس الغرض سنى ١٨٤٤ و ١٨٤٥ و ١٨٤٦ فى مدن المانية مختلفة •

وفى هذه الأثناء ، عين جايجر حاخاما مشتركا فى بريسلاو ، حيث يعمل الحاخام المحافظ جدا سليمان تيكتين ، وفى الحال ، اشتعلت نيران الجدال العنيف بين الحاخامين ، مما دفع جميع الحاخامين الآخرين فى أوروبا الى اتخاذ موقف المناصر أو المناهض فى القضية • وعلى عكس جايجر ، يقول الحاخام تيكتين : « كل من غير أى أمر أو نهى جاء فى التلمود كافر ، خارج عن الدين اليهودى لا تقبل لـه شهادة » (١٣) وتدخلت سلطات اليهود فى مدينة بريسلاو لحسم الخلاف فناشدت حاخامى أوروبا كلها بأن يبعثوا لها أجوبتهم الصريحة عن الأسئلة التالية : « هل التقدم ممكن فى الدين اليهودى أم هل هو مكتوب فيه أن لا تغيير ولا تبديل ؟ هل الكثيرون من أبنائنا الذين يشككون فى صلاحية التشريعات التلمودية لهذا العصر ويرتأون آراء تختلف عما رآه أسلافنا فى القرون السابقة ، هل هم يستحقون « اسم يهودى » أم هل يجب اعتبارهم مردودين أو كفارا ؟ هل اللاهوت اليهودى قابل للدراسة العلمية ، وهل يحتمل الدين البحث الحر ؟ أم هل يجب عدم مس الدين التقليدى مهما ابتعد عن الثقافة المعاصرة أو ناقضها ؟ هل لا يجب بحث

---

(١٣) كما فى كتاب فيليبسون السابق ذكره ، صفحة ٧٨ • ألف جايجر كتابا وضع فيه نظريته عنوانه :

Darstellun des Sachverhaltnisses in Seiner hiesigon Rabbinatsangelegenheit.

أى « عرض للأوضاع الحاضرة فيما يختص بالربابنة فى هـذه الديار » •

هذه الأمور ؟ وهل يحق للحاخام الذى ينشر آراء ايجابية لهذه الأسئلة أن يكون حاخاما » ؟ (١٤) ٠

وأقيمت خلال هذه السنوات مؤتمرات عديدة ، منها ما ذكرنا سالفا ، بحثت فيها هذه الأسئلة وأسئلة أخرى كانت تهم اليهود ٠ منها : ما هى سلطة التلمود بالتحديد ؟ وما هى صلاحيته ؟ هل لمجلس الربابنة سلطة تأويله ؟ هل يجوز لليهود الزواج من المسيحيين وحاخام ابرام عقود نكاح مختلطة ؟ ما هو علاقة الشعب اليهودى كوحدة اثنولوجية بالدين اليهودى ؟ وهل يجوز لليهودى أن يقدم ولاءه للحكومة ؟ ألا يجوز تغيير الطقوس الدينية ، ولو شكليا ؟ هل تجوز الصلاة بغير اللغة العبرية ؟ هل يجوز استعمال الأرغن فى الكنيس ؟ ألا يجب الاعتراض على القسم اليهودى المتبع فى المحاكم (وهو قسم يختلف عن القسم المسيحى) ؟ أيجب تعديل قوانين الزواج والطلاق ؟ قوانين الطعام ، والسبت والختان ؟

طبعا كان يجيب الاصلاحيون بالايجاب عن جميع هذه الأسئلة ، محاولين تدعيم موقفهم ٠ وكانت أشد حاجاتهم اقناع اليهود بأن للربابنة الحق فى بحث هذه الأمور وتسيير دفة أمور الدين اليهودى كما يقتضى العصر ٠

* * *

٤ ــ حركة الاصلاح بعد عام ١٨٥٠ :

فى أمريكا لم يكن للفكر اليهودى أثر يذكر قبل منتصف القرن الماضى ٠ نعم كان هنالك يهود ٠ الا أنهم كانوا يدينون للأوساط الأوروبية

---

(١٤) المصدر السابق ، صفحة ٨٤ وما يليها ٠ جمعت الأجوبة التى وصلت فى كتاب نشر بعنوان :

Rabbinische Gutachten uber dis Vertraglichkeit der freien Forschung mit dem Rabbineramte.

أى « آراء الربابنة فى صلاحية البحث الحر وعلاقته بوظيفة الحاخام » فى برسلاو سيتى ١٨٤٢ و ١٨٤٣ ٠

فى كل ما يتعلق بالفكر والدين . فلم يكن لهم رأى سوى ما يمليه عليهم الربابنة فى أوروبا . لم يكن بينهم عالم يذكر ولا مدارس لتعليم اللاهوت اليهودى وتخريج الحاخامين . بل أن أمريكا جذبت حثالة اليهود الأوروبيين فقط . ويقول يوسف بلاو ، أستاذ الدين اليهودى فى جامعة كولومبيا ومؤرخ اليهود الأمريكان انه لم يكن رجل يعرف أصول الدين حتى بين الرعية اليهودية الأمريكية (١٥) .

فكلما أشكل عليهم الأمر ، كانوا يكتبون لحاخامى أوروبا وينتظرون ردودهم ليعملوا بموجبها . ومع هذا ، لم يكن هنالك تراث القرون الوسطى يعوق ويناهض حركة اليهود التحريرية أو الاصلاحية . وساعد أيضا المنهاج العلمانى الذى سارت عليه معظم الولايات المتحدة ، اذ لم يكن دستوريا لها التدخل فى أمر أية طائفة دينية ، وكانت كل طائفة يحق لها تسجيل نفسها بنفسها بمجرد الطلب . وأول كنيس أمريكى تبنى حركة الاصلاح هو كنيس « بيت ألوهيم » فى مدينة شارلستون بكارولينا الجنوبية . الا أن المدينة نفسها تقلصت فيما بعد ، وهاجر معظم سكانها اليهود فلم يعد لهم أهمية تذكر فى التطور العام ، الا أن الاصلاحيين فى أمريكا كانوا كثيرى الاقتداء بالنظام الدينى المسيحى وشديدى التمثل برجاله وطقوسه .

وأسس عدد من الكنائس الاصلاحية فى المدن الأمريكية الكبرى قبيل عام ١٨٥٠ . الا أن حركة الاصلاح الأمريكية لم تنتعش الا بعد تعيين الحاخام اسحاق وايز فى البانى ، نيويورك . فمنذ أن تسلم مهام منصبه أخذ يحقق اصلاحات واسعة المدى ، منها كورال مختلط من الرجال والنساء ، ومنها طقس التثبيت الدينى ، ووضع المقاعد فى الكنيس على الطريقة المسيحية . وفى سنة ١٨٥٠ بالذات ، قام جدال عنيف بين دعاة الاصلاح والمحافظة فى نفس الكنيس أعلن ضمنها الحاخام وايز بأنه لا يؤمن لا بالبعث الجسدى ولا بمقدم المسيح المنتظر . وعليه ، أرغم قهرا على الخروج من الكنيس وهو يلقى وعظه يوم رأس السنة اليهودية . الا أنه

---

(١٥) انظر كتابه السابق ذكره ، صفحة ٣٩ .

عين حالا حاخاما فى مدينة سنسناتى حيث أسس قاعدة جديدة لحركة الاصلاح (١٦) •

واستمدت حركة الاصلاح فى أمريكا رجالاتها وفكرها من المانيا (١٧) قال صموئيل آدلر ، حاخام كنيس عمانوئيل الاصلاحى فى نيويورك ، محتذيا حذو الحاخام جايجر الألمانى : « ان أولى الخطى التى يجب أن تتخذ هى تطهير الطقس الدينى من الأكاذيب والخرافات الأخرى التى لم تكن تذكر لولا أنها تقال فى لغة وبطريقة لا يفهمها أحد • ومن هذه الخرافات النحيب والعويل حول الاضطهاد ، وطلب اعادة الطقس القربانى الى الوجود ، والدعاء بالعودة الى فلسطين ، والتطلع الى مسيح شخصى ، والايمان بالبعث الجسدى • وبالتالى ، يجب حذف كل المبالغات والمغالطات ثم تطهير الطقس الدينى وجعله بينا ، مفهوما واضحا وملهما وباعثا للتقوى الصحيحة » (١٨) •

واضاف ماكس للينتال ، حاخام كنيس اصلاحى آخر فى سنسناتى ، التفريق بين ما هو زائل وما هو أزلى فى الدين ، مقلدا ليثودور باركر الذى أشار نفس السؤال بخصوص المسيحية • وعلى اثره ، قال داوود اينهورن ، حاخام بلتيمور وأجرأ اليهود على الاصلاح : « ان للقانون الالهى جسد زائل وروح أزلية • أما الجسد ، فهو معنى كى يكون خادما للروح ، ولا بد له من الدفن بمجرد افلات الروح منه ، فقط الوصايا العشر هى الروح ، وكل ما عداها جسد زائل » (١٩) • وكذلك ، قال

---

(١٦) Israel Knox, Rabbi in America : The Story of Isaac M. Wise. Boston : Little, Brown & Co., 1957.

M.B. May, Isaac Mayer Wise, The founder of American Judaism : A. Biography New York : Putnnm, 1916.

(١٧) ذلك أن ربابنة معظم الكنائس الاصلاحية فى أمريكا التى تم تأسيسها فى ذلك العهد أتوا من المانيا وكانوا تتلمذوا فيها على أساتذة اصلاحيين أو عملوا فى كنائسها الاصلاحية •

(١٨) فيليبسون ، الكتاب السابق ذكره ، صفحة ٤٨٣ •

(١٩) المرجع السابق ، ص ٤٨٣ •

برنارد فلسنتال ، حاخام شيكاغو الاصلاحى : « انه ما من قانــون أزلى سوى القانون الأخلاقى الذى نقشه الله بأصبعه نقشا لا يمحى فى طبيعة الانسان الروحية » (٢٠) وهو يعــارض المحافظة على التلمــود بهذه الحجة : اذا وجب علينا انكار قوانين التوراة الالهية بالذات عندما يتوقف العمل بها وتخسر فعاليتها ، فكم بالأحرى أن ننكر قوانين التلمود الموضوعة من قبل الربابنة فى عصرهم العتيق ؟

* * *

٥ ـ مؤتمر بيتسبورج الاصلاحى سنة ١٨٧٥ :

أسس الحاخام اسحاق وايز بمساعدة عدد من زملائه حاخامى الحركة الاصلاحية والحركة المناهضة لها كلية الاتحاد العبرى (Hebrew Union College) فى مدينة سنسناتى حيث كان يعمل حاخاما . كان ذلك سنة ١٨٧٥ وكان عدد الطلبة المنتمين أربعة . ولم يكن حتى ذلك العهد ، وحتى سنة ١٨٨٣ حين تخرج الفوج الأول من هذه الكلية ، ، أحد من الحاخامين فى أمريكا الا وقــد تخرج فى معهــد أوروبى وحصل على الحاخامية خارج أمريكا .

لذلك كانت الحاجة ماسة الى معهد أمريكى يعد الحاخامين ويدربهم للخدمة فى أمريكا . وكانت الرغبة فى تأسيس هـــذه الكلية وضرورة جمع نفقاتها من اليهود الاصلاحيين أدت الى تأسيس اتحــاد المجتمعات الكنسية العبرية الأمريكية سنة ١٨٧٣ ، وقد أصبح هذا الاتحاد الهيئة الرسمية للملة الاصلاحية . وكذلك ، قام الحاخام وايز بتأسيس مجلس الربابنة الاصلاحيين فى مؤتمر دعا الحاخامين لعقده فى فيلادلفيا سنة ١٨٦٩ . وفى المؤتمر نفسه ، دعا وايــز زمــلاءه لتبنى قرار بالأمـــور الآتية :

(١) انكار نظرية المسيح المنتظر .

(٢) اعادة تأويل تدمير الدولة اليهودية الثانية على أيدى الرومان واستبدال معناها التقليدى ـ أن اليهود شردوا فى أقطــار العــالم كى

---

(٢٠) فيليبسون ، الكتاب السابق ، ٤٨٤ .

يحققوا رسالتهم الالهية انفصالا عن البشر ـ بأنهم شردوا ليحققوا تلك الرسالة بين البشر لا انفصالا عنهم ٠

(٣) انكار الأمل بالعودة للطقس القربانى والكهنوت الهارونى ٠

(٤) تأويل فكرة « الشعب المختار » بحيث تصبح عالمية المعنى والتطبيق ٠

(٥) انكار نظرية بعث الجسد ٠

(٦) التوصية باقامة الصلوات باللغات القومية ٠

(٧) تعديل قوانين الربابنة المختصة بالزواج والطلاق (٢١) ٠

ومع أنه عقدت مؤتمرات عديدة كانت تبحث هذه المبادىء خلالها ، فان انفصال الاصلاحيين التام عن بقية اليهود لم يأت سوى فى سنة ١٨٨٥ حيث عقد مؤتمر فى مدينة بيتسبورج سمى باسمها فيما بعد ٠ وفى هذا المؤتمر ، عرض الحاخام كاوفان كوهلر قائمة مبادىء ليتبناها المؤتمر كدستور نهائى لحركة الاصلاح ٠ ووصف المؤرخ فيليبسون هذه الوثيقة بأنها أوضح وأقصر وأول كلمة قيلت فى الملة الاصلاحية ٠ حوت القائمة البنود الثمانية الآتية :

(١) أن الكتاب المقدس لهو أعظم وثيقة خلقها الانسان ٠ وينطوى هذا البند عن مبدأين :

الأول : أن الكتاب المقدس ليس من صنع الله ، بل من صنع الانسان ، له وعليه كل ما لمخلوقات الانسان من روعة وقوة أو ضعف وخطأ ونسبة ٠

والثانى : أنه أعظم الوثائق المدينية لا أوحدها ٠ أى أن وثائق الأديان الأخرى ليست مرفوضة بتاتا ، بل هى من نفس النوع كالكتاب المقدس وان قلت عنه درجة فى الروعة والحسن أو الخطأ والضعف ، يقول القرار : « ان الكتاب المقدس أعطانا أرفع تصوير لفكرة الاله ٠ وهى التى

---

(٢١) فيلبسون ، الكتاب السابق ، صفحات ٤٨٨ ـ ٤٩١ ٠

انشاها العلماء اليهود والبسوها المعانى الروحية التى تتفق مع عصورهم المختلفة » .

(٢) الكتاب المقدس « وثيقة سجل فيها الشعب اليهودى تكريس نفسه لتحقيق رسالته ، ككاهن للاله الواحد » . وهذا يعنى تنازل الاصلاحيين تنازلا نهائيا عن فكرة الوحى الكلامى . فقد أرسوا قيمة الكتاب المقدس على قاعدة « أنه أقوى معبر عن المعانى الدينية والأخلاقية» وحاول الحاخام كوهلر اضافة عبارة « وحى الهى » فى هذا البند ففشل بسبب التباس معنى « الوحى » . وقد قضى هذا البند على أى عداء أو تنكر من قبل اليهود للاكتشافات العلمية التى تمس الكتاب المقدس والتى جاءت بها علوم القرن التاسع عشر .

(٣) لا صلاحية ضرورية لأى شىء فى الكتاب المقدس سوى القانون الأخلاقى . وبين جميع التشريعات الموسوية وغيرها ، « لن يعتبر الاصلاحيون الا تلك الطقوس والشعائر التى تقدس الحياة . أما التشريعات الباقية والتى لا تلائم فلسفة هذا العصر الحديث ومدنيته ، فهى مرفوضة » .

(٤) لا يقام أى وزن للتشريعات اليهودية فى المأكل والمشرب ، أو فى ملبس وطهارة الكهنة .

(٥) « تأول نظرية المسيح المنتظر التقليدية على أنها نظرية الأمل الانسانى العالمى لتحقيق الحق والعدالة والسلام بين البشر جميعا » ، وينطوى على هذا انكار نظرية « الشعب اليهودى » . ويجب تعريفهم كأنهم فرقة دينية لا قومية .

(٦) « الدين اليهودى دين تقدمى يسعى دائما لموافقة مبادئه وأركانه مع مفترضات وملزمات العقل » . ولهذا ، أعلن رائد الملة الاصلاحية وجوب تعاون ملتهم مع الأديان ، وبصورة خاصة مع الدينين الساميين ، المسيحى والاسلامى .

(٧) مع الاحتفاظ بمبدأ أزلية الروح ، ينكر المؤتمر المبدأ القائل ببعث الأجساد وبالعذاب بعد الموت .

(٨) واخيرا قرر المؤتمر اكتتاب اليهود الاصلاحيين بالدعوة الى تحقيق العدالة الاجتماعية التى ينادى بها العصر الحديث ، قال : « عملا بروح التشريع الموسوى (لا بحرفه) .. يعتبر المؤتمر المساهمة فى الواجب الكبير لحل مشاكل العالم الحديث الاجتماعية على ضوء العدالة ، أمرا لازما على جميع الاصلاحيين » (٢٢) .

يتبين من هذه المقررات أن الملة الاصلاحية ، التى انفصلت عن بقية اليهود بعد مؤتمر بتسبورج ، شيدت فلسفتها على مبادىء حركة التنوير فى القرن الثامن عشر وحركة التحرير فى القرن التاسع عشر .

* * *

٦ ـ نظم الملة الاصلاحية :

يسكن معظم أعضاء الملة الاصلاحية الولايات المتحدة وكندا . لهم فروع فى أوروبا الغربية ، الا أنها ضئيلة العدد والمقدرة . أما فى أمريكا الشمالية فللملة ٧٠٠ كنيس تمثل مثل هذا العدد من المجتمعات يتراوح عدد أعضائها بين المليون ونصف والمليونين . وهنالك ٨٥٠ حاخاما ينتمون للملة الاصلاحية سنة ١٩٦٥ (٢٣) .

وللملة كلية دينية تخرج له حاخامين ، هى « كلية الاتحاد العبرى » فى سنسناتى . وفى نفس المدينة يوجد أيضا « المعهد اليهودى للدراسات الدينية » يتعلم الاصلاحيون فيه الديانات غير اليهودية .

ترتبط المجتمعات الكنسية للملة الاصلاحية فى اتحاد عام اسمه : « اتحاد المجتمعات الكنسية العبرية الأمريكية ، بينما يرتبط الحاخامون فى اتحاد « المؤتمر المركزى للحاخامين اليهود » . يقوم هذا الأخير

---

(٢٢) Proceedings of the Pittsburg Rabbinical Conference, Central Couference of American Rabbis, p. 7.

(٢٣) Richard F. Steinbriuk, «Reform Judaism» in Benjamin Efron, Currents and Trends in Contemporary Jewish Thought New York : Ktav Publishing House, Inc. 1965, p. 44.

مقام الأخصائى الذى يقدم مادته لاتحاد المجتمعات الكنسية فهو السلطة العليا . فللمجتمع الكنسى الذى يتألف من الرجال والنساء الأعضاء فى الكنيس الواحد والذين أسسوه أو قبلوا فيه فيما بعد الكلمة الأخيرة لا فى تنظيم الأمور الكنسية فحسب بل فى اقرار ما هو يهودى وما هو يهودى اصلاحى ، وهذا النظام الذى يضع السلطة النهائية فى المجتمع الكنسى بدلا من الكنيسة ، أو مجالسها الخاصة ، أو الكتاب المقدس ، أو سلطات أخرى خارجية عن مؤسسى الكنيس وأعضائه ، نظام مقتبس عن نظام الكنائس المسيحية المسمى (Congregationalism)

يقيم الاصلاحيون السبت مساء الجمعة بدلا من السبت . وليست هذه الشعيرة كلها بدعة فقد كان اليهود دائما يحتفلون بمقدم السبت مساء الجمعة فى اجتماع قصير يسمونه « أريف شبات » أو عشية السبت . الا أن الاصلاحيين جعلوا من هذا الاجتماع شعيرة السبت الكبرى . وذلك لأنهم لم يريدوا أن يتقيدوا بعدم مزاولة أعمالهم يوم السبت . ويجب أن لا ننسى أن الاصلاحيين يستعملون البنوك الخشبية الطويلة للجلوس فى الكنيس باختلاط الجنسين . ويتخلل عبادتهم العزف على الأرغن وغناء الأناشيد من قبل كورال يتألف من الرجال والنساء والصبيان والبنات . ولا يلبس الاصلاحيون اليارمولكا أو غطاء الرأس الصغير ولا يلزمون نساءهم بغطاء رؤوسهن أثناء الصلاة . وكذلك فهم لا يلبسون الشال أو « التاليت » على أكتافهم . لكنهم لا يمانعون من يرغب فى الامتثال لهذه التقاليد ، الا أن هؤلاء قلة .

يقيم الاصلاحيون معظم أعياد الرزنامة اليهودية . الا أنهم يحتفلون « روش هاشناه » و « شافوعوت » فقط فى يومها الأول ، وكذلك هم يثبتون البنات بالاضافة الى البنين بتمكينهم من الاحتفال بختمهن للدراسة اليهودية « بات ميتزفاه » .

***

الفصل الخامس

الملة الأرثوذكسية

١ ـ بين القديم والجديد :

كان معظم اليهود يقطنون أوروبا الشرقية والامبراطورية العثمانية · وكان محورهم فى هذه البلاد لا فى أوروبا الغربية أو أمريكا حيث كانوا قلة بالنسبة ليهود شرق أوروبا ·

منذ أن جاء التحرير ، وبدأ اليهود يشعرون أن العلم والتنظيم اليهودى الذى نشأوا عليه فى الجيتو لم يعد مهما ، وأن العلوم العلمانية ووسائل انخراطهم فى صفوف المسيحيين أجدر لهم أن يولوها العناية والاهتمام · ولذلك ، ضعفت بينهم علوم التلمود وقل استعمالهم للغة العبرية حتى كانت المشكلة الثقافية الكبرى التى واجهها موسى مندلسون فى ألمانيا اذ اضطر لتعليم اليهود العبرية كى يتفهموا دينهم ، أما فى الشرق فلم يكن هنالك تحرير ولم تصب اليهود المساوىء التى انطوت عليها حركة التحرير فى الغرب · كان اليهود فى ألمانيا محرم عليهم استعمال اللغة الألمانية فى عقودهم ، ولما تحرروا ، هجموا على اللغة الألمانية لدرجة نسيان لغتهم · أما فى الشرق فقد بقى التراث العبرى حيا · فالأذكياء منهم الذين لم تتح لهم فرصة الدراسة والعمل فى النطاق المسيحى ، صبوا اهتمامهم فى دراسة تراثهم ، كما استمر العامة منهم فى الامتثال لنظام الحياة التقليدى حسبما يشير التلمود · وكذلك بقى المجتمع اليهودى فى شرق أوروبا مجتمعا متماسكا متراصا قويا طالما أن هيئاته كانت الوسيط الوحيد بين اليهودى والدولة وطالما أن المجتمع نفسه ظل منبعا لجميع حقوق اليهودى وواجباته الروحية والاقتصادية

والاجتماعية (١) ٠ الا أن هنالك فرقا شاسعا بين الدراسة العلمانية فى الغرب والدراسة التلمودية فى الشرق ٠ فالأولى ، كمثيلاتهـا من العلوم والتهذيبات العلمية العصرية كانت تهدف الى الخلق ، الى اكتشـــاف الحقائق الكامنة والى توسيع نطاق معرفة الانسان ٠ أما فى الثانية ، فالهدف كله مجرد توسيع القانون ليشمل تنوع الحياة وتجديداتها وذلك باكتشاف ناحية أو معنى أو حكم أو ملزمات حكم يمكن تطبيقها على النحو الجديد حتى يبقى التلمود القديم مسيطراً على كل شىء ٠ وشتان بين العقليتين (٢) ٠

* * *

٢ ـ اليهود الشرقيون مجتمع حى :

زد على ذلك أنه نشأ فى أوروبا الشرقية تراث مغاير تماما لتراث التنوير والعقلانية ، ذلك هو التراث المعروف بحركة الحسيديم ، نشأت هذه الحركة فى القرن الثامن عشر كرد فعل لانغماس اليهود فى عملية استنباط الأحكام من الأحكام العملية التى لا نهاية لها ، والتى جففت ينابيع الحياة الروحية لليهود وجعلتها معدومة الأخلاق والأصالة ، وليست حركة الحسيديم سوى حركة تصوف استهدفت اعادة التقوى والنية الصافية والأخـــلاق والتعبد الصـــحيح الى نصـــابها فى حيـــاة اليهـــودى ٠ فكانت مضادة لحركة الميتناجديم وهم رجالات القانون الذين لا يهمهم فى الدنيا سوى تمديد القانون وتوسيعه ليشمل الجديد كما شمل القديم ،

---

(١) راجع التفاصيل فى كتابى :

S.M. Dubnow, History of the Jews in Russia and Poland from the Earliest Times until the Present Day.

Philadelphia : Jewish Publication Society, 1918 ; S.W. Paron, The Russian Jew under Tsars and Soviets. New York : Macmillan, 1964.

(٢) : Abraham Joshua Heschel, The Earth is the Lord's : The Inner World of the Jew in Eastern Europe. New York : Henry Schuman, 1950.

الا انها لم تكن ترمى الى التخلص منهم ، بل الى مساواة التقوى بالفعل القانونى . كلاهما تقليديان . والفرق بينهما فرق فى الدرجة فقط ، وقام صراع بين النزعتين تغلبت فيه النزعة الصوفية على النزعة القانونية بدون هدمها . فشـهد القرن التاسع عشر حياة يهودية فى شرق أوروبا ازدوجت فيها النزعتان وآزر بعضهما البعض (٣) . وهذا حافظ على الدين اليهودى وجعله قويا خلاقا وفعالا . أما فى الغرب ، حيث لم تنشأ مثل هذه الحركة ، بات الدين اليهودى جافا وسقيما وذلك مما ساعـد فى نفور الاصلاحيين من الموقف التقليدى والثورة عليه .

فمن جوف الموقف الدينى لليهودى فى شرق أوروبا اجتمع الحاخامون فى مدينة ليسا فى بولندة متجاوبا مع زملائهم وشعبهم فى جميع الأقطار الشرقية : « جميع الأوامر والنواهى الموجودة فى أسفار موسى الخمسة ، أو كما بلورها وفسرها وشرح ملزماتها التأويل التلمودى ، الهية فى مصدرها وواجبة على جميع اليهود فى كل العصور ولا يحق لأيـة سلطة انسانية نقض هذه الأوامر والنواهى أو تعديلها بأى شـكل ، مهما كانت أحوالها ، (٤) وقال سليمان أيجر ، رئيس حاخامى مدينة

---

(٣) راجع تحليل نظرية الحسيديم فى :

Jacob S. Mink in The Romance of Hassidism. New York : Yoseloff, 1955 ;

Solomon Schechter, «The Chassidim» Studies in Judaism First Series.

Philadelphia : Jewish Publication Society, 1945. Samuel H. Dresner, The Zaddik : The Doctrine of the Zaddik According to the Writings of Rabbi Yaakov Josef of Polnoy. London : Abelard – Schuman, 1960.

وراجع مؤلفات مارتن بوبر ، الفيلسوف الشهير فى هذا المضمار ، وان أردت أستعراض شيئا من أدبهم راجع :

The Hassidic Authology, ed. Lowis I. Newman. New York : Bloch, 1944.

(٤) فيليبسون ، الكتاب السابق ذكره ، صفحة ٨٢ .

يوزن فى بولندة معلقا على قضية جايجر ـ تيكتن التى مرت بنا : « ان اليهودى المصدق للتوراة هو الذى يؤمن بأن كتاب القانون الالهى وجميع التفسيرات والشروح الموجودة فى التلمود أعطيت من قبل الله نفسه الى موسى فوق طور سينا » (٥) .

* * *

٣ ـ كلمة « الأورثوذكسية » :

استعملت كلمة « أورثوذكسية » لأول مرة فى تاريخ الدين اليهودى سنة ١٨٠٨ . وكان أول من استعملها الاصلاحيون ناعتين بها المحافظين الذين كانوا يعارضونهم فى دعوتهم للاصلاح . والواقع ، أن استعمال هذه الكلمة من قبل الاصلاحيين خطأ . وذلك أن كلمة أورثوذكسية تعبير مسيحى ، ينطبق على المسيحية فقط لأن لها (doxa) أو مقررات اتفق عليها كتعريف رسمى للدين المسيحى . فما اتفق مع هذه المقررات كان أرثوذكسية وما خالفها كان (Heterodoxy) وليس فى اليهودية مثل هذا . ومع ذلك ، فقد تقبل معارضو الاصلاح هذا النعت وأخذوا يسمون به أنفسهم فيما بعد ، ومنذ زمن ، ابتدأ الاورثوذكس يشعرون بعدم صلاحيته وانتخبوا تعبير « اليهودية المصدقة للتوراة » بدلا منه . على أن هذا الوصف أيضا لا ينطبق عليهم لأن ما يصدقونه ليس التوراة فحسب بل التلمود والتراث الشفهى لربابنتهم . وعلى كل حال ، علينا أن نذكر أن نشأة الملة الأورثوذكسية كانت فى يهود أوروبا الغربيين منهم والشرقيين ، يجذبون الى العلوم العلمانية والتقدم من جهة والى تراثهم القديم من جهة أخرى جذبا عاطفيا وفكريا . وينبغى أن لا ننسى أن الشرقيين منهم كانوا دائما أشد محافظة على التراث القديم .

* * *

٤ ـ نشأة الملة الأورثوذكسية :

كان أول من قدم الموقف الأورثوذكسى وشرحه ودافع عنه هو الحاخام شمشون رفائيل هرش (١٨٠٨ ـ ١٨٨٨) ولد هرش فى

---

(٥) فيليبسون ، الكتاب السابق ذكره ، صفحة ٨١ .

هامبورج بألمانيا لأب عارض تأسيس الكنيس الاصلاحى فيها أشد المعارضة وأسس فيها مدرسة لتدريس التلمود ليناهض مسعى الاصلاحيين • وقد تلقى هرش دروس التلمود فى هذه المدرسة ونشأ محافظا كأبيه • ثم درس على يد اسحاق برنايس (١٧٩٢ — ١٨٤٢) ويعقوب أتلينجر (١٧٩٢ — ١٨٧١) فى معهد الدراسات اليهودية المسمى « ياشيفا » ، ولم يتلق العلوم الحديثة الا لسنة واحدة قضاها فى جامعة بون ، ثم باشر عمله الدينى كحاخام فى مدينة أولدنبرج سنة ١٨٣٠ (٦) •

رأينا أن الحاخام جايجر كان يقول بتأويل الدين اليهودى بحيث يصبح مشابها كل الشبه لدين البروتستنتى المسيحى ، على الأقل من الوجهة الخارجية • وعلى نقيض ذلك ، يقول هرش بالمحافظة على أكثر ما يمكن المحافظة عليه من التراث اليهودى بشرط أن توجد له معان تتلاءم مع العصر الحديث • وهو لم يكن محافظا مغلقا كالحاخام تيكتين ، بل كان يرى ضرورة التغيير وحتميته ، واعتقد بأن التغيير ومنهاجه سنة موجودة فى التراث اليهودى نفسه ، ولعل معرفته بالعلوم العلمانية والحديثة ، ولو كانت ضئيلة جدا ، طمأنته بأن لا تعارض جوهريا بينها وبين الدين اليهودى فبدلا من الصمود فى وجه ارادة التغيير عند الاصلاحيين ، اتخذ هرش موقف الداعى الى تغيير بطىء مدرج حسبما الفه التراث اليهودى نفسه (٧) ، وبدلا من رفض الطقوس اليهودية وتشريعات التلمود البالية حاول أن يبعث فيها الحياة بايجاد معان ووظائف جديدة لها • وألف فى هذا الصدد عددا من الكتب (٨) •

---

(٦) راجع : Herman Schwab, The History of Orthedox Jewry in Germany. tr. Irene R. Birnburm. London : Mitre Press, 1905.

(٧) انظر : Judaism Eternal : Selected Essays from The Writings of Rabbi Samson Raphael Hirsch, ed. Isidor Grunfeld London : Soncino Press, 1959.

(٨) منها : Neunzehn Briefe uder Judenthum, Von Ben Uzici. Horeb : Versuche uber Jissroels Pflichten in der, Zerstreuang.

وكانت أولى مشاريعه الناجحة محاولته دحض المحافظة المعارضة لادخال العلوم الحديثة على برامج التعليم فى المدارس اليهودية . وقد استعمل هرش ضد المحافظين سلاحهم بالذات ، أى استمد حججه لصالح العلوم الحديثة والتغيير من التراث القديم الذى يدافع معارضوه عنه . وقال ان الحقيقة كلها ترجع الى مصدر واحد هو الله سواء أن وجدت فى الطبيعة أو فى ما ورائها ، وسواء أن بحثت على الطريقة القديمة أو الحديثة . وأشار الى الأمر بالتعلم بشتى الطرق فى الكتاب المقدس (٩) ومن أقواله المألوفة :

« وما أهمه ، من الناحية الدينية ، أن نحضر شبابنا بالعلوم التى ستؤهلهم لتقدير شروط العيش الشخصية والسياسية والاجتماعية والدينية التى تتحكم فى حياتهم كرجال القرن وكيهود ، ما أهمه أن نعطيهم العلم اللازم لتقدير الثقافة الأوروبية المحيطة بهم حق قدرها والانتهال منها كل ما هو خير ورفعة » ! (١٠) ففى هذا المضمار كان يتفق هرش مع الموقف الاصلاحى أكثر من الموقف التقليدى .

وهنالك ناحية أخرى اختلف فيها هرش عن زملائه التقليديين . وهى ناحية الانفصال عن الاصلاحيين انفصالا تاما كلما سيطر هؤلاء على كنيس أو هيئة فى مجتمع يهودى . ففى سنة ١٨٥١ تخلى هرش عن منصبه الكبير كحاخام أكبر لمقاطعتى مورافيا وسليزيا وكعضو فى البرلمان النمساوى وقبل تعيينه حاخاما لفرانكفورت حيث أمضى ٣٧ عاما أو بقية حياته . وفى فرانكفورت ، التى لم يكن فيها كنيس ، أشار هرش على أتباعه بأن يبنوا مدرسة لا كنيسا مؤكدا لهم : « لا حاجة لنا الآن للسرعة فى بناء كنيس ، يلزمنا قبل ذلك مدرسة لبناء جيل جديد من اليهود العالميين الواعين والمتعلمين ، الذين يؤمنون بالدين اليهودى ويتخذونه قصدا لحياتهم . وعندما يحضر ذلك الجيل ، نبنى الكنيس ، اذ ما هى

---

(٩) « تعرف على الله بشتى الطرق » . الأمثال ٣ : ٦ . انظر كتاب المنتخبات من مؤلفات هرش السابق ذكره ، جزء ١ ، ص ٢١ .

(١٠) المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢١ .

قيمة كنيس عظيم لا يؤمه الرجال والنساء للتعبد » ؟ (١١) . وأسس هرش مجلة أسماها « ياشيرون » أدخل فيها موقفه وأفكاره الى كل بيت من بيوت اليهود .

ولم يمض زمن طويل حتى أصبحت فرقة هرش أقوى الفرق فى فرانكفورت وبنى لها كنيس كبير دفع نفقاته يهود المدينة بأجمعهم ، اصلاحيين كانوا أو تقليديين . وكذلك ، نفذت الاجراءات المأكلية التقليدية فى المدينة تحت مراقبة حاخامين تقليديين وأنشىء فيها حماما طقسيا . ولكن بالرغم من جميع هذه المكاسب ، لم يطمئن هرش الى وجود الاصلاحيين بين صفوفه ، فعمد الى التخلص منهم .

وكان هنالك قانون عام فى ولاية بروسيا أنه لايجوز لليهودى بالخروج على أمته الا اذا أراد أن يدخل الدين المسيحى ، كما أن القانون نفسه لم يسمح للمسيحى بأن يخرج من الكنيسة ويبقى عضوا فى المجتمع . ونقض هذا القانون سنة ١٨٧٣ بخصوص المسيحيين ، لا اليهود . وهذا ما حدا بالحاخام هرش الى المطالبة بمعاملة اليهود بالمثل حتى يتسنى له ولأتباعه الانفصال عن الاصلاحيين دون الأمة اليهودية . وما كان أشد استغرابه وعجبه عندما حاول الانفصال بعد تعديل القانون المذكور اذ عارضه كبار أتباعه حرصا منهم على وحدة الأمة اليهودية ، حتى العالم التلمودى ، موسى لويب ماينز ، وزيلجمان باير بامبرجر ، حاخام فورتزبرج ، عارضا هرش ، الا أن هرش كان مستعدا لتضحية وحدة الأمة اليهودية التى طالما منعت الدين اليهودى من الانحلال وأسلمته من الهجوم الخارجى عليه ، وهو بذلك أشد محافظة وتقليدا من التقليديين بما فيهم زعمائهم الكبار مثل ماينز وبامبرجر .

يقول هرش فى هذا الأمر : « يجب على اليهودى الأرثوذكسى أن لا يسهم فى ادارة مستشفى للاصلاحيين . والسبب هو أن ذلك يتعارض

---

(١١) المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٢ .

مع القوانين الخاصة بالمـــأكل وبشعائر السبت فتنفيذ هـــذه القوانين بحذافيرها يتطلب أن تكون ادارة مثل هذه الهيئات فى أيدى رجال ذوى أورثوذكسية معترف بها ٠ وبديهى أن الاداريين الاصلاحيين غير معترف بأورثوذكسيتهم وهم لذلك غير معتمدين ٠٠٠ وأضيف أن على أعضاء ادارة أية هيئة من هذا النوع أن يكونوا شديدى الحرص على القانون ، لا يقلون فى تشـــددهم عن محكمة ربانيـــة ٠٠٠ ولهـــذا ، يجب على الأورثوذكس عدم الاعتراف بهيئة لا دينية كهيئة الاصلاحيين ، وعلى كل يهودى مؤمن بيهوديته أن لا يقبل أن يكون عضوا فيها » (١٢) ٠

وزاد من حدة الخلاف أن دخل فيه أمر اهابة الحاخامين الشخصية ، اذ قال الحاخام بامبرجر بأن مبدأ هرش « يعمل به فقط عندما يثبت أن مؤهلات الحاخامين المذكورين الشخصية ومعرفتهم التلمودية غـــير متساوية ، أما اذا تساوت ، فيجب أن لا يجبر أحد الطرفين على الانصياع لأمر أصدره الطرف الآخر بينما يرى الطرف الأول بمحض اجتهـــاده أن الأمر خاطىء » (١٣) ٠

* * *

٥ ـ تحديد موقف هرش الفكرى :

يتضح مما تقدم أن عدو هرش الأكبر كان الحركة الاصلاحية ، وبديهى أن حركات الاصلاح كثيرا ما تعتمد على نظرية وفكر تنبثق عنه فى بادىء أمرها ، أما الحركات التقليدية فلا تلزمها النظريات فى بادىء الأمر ٠ وذلك لأنها تقليدية ، تعتمد على ما قدمه السلف لها ٠ لذلك تأخر مجىء فكر أورثوذكسى أصيل ٠

كان هرش قد اتخذ شعار المدرسة الجديدة التى أسسها فى فرانكفورت جملة من التلمود ، هى « أن دراسة التلمود نبيلة وطيبة اذا اقرنت بمهنة دنيوية » (١٤) ٠ الا أن هرش أدخل معنى جديدا لكلمة « ديرنج

---

(١٢) انظر كتاب (Schwab) السابق ذكره ، ص ٧٥ وما يليها ٠

(١٣) المصدر ذاته ، ص ٨٨ ٠

(١٤) عن سفر آبوت فى المشناة ، ٢ : ٢ ٠ راجع كتاب منتخبات من مؤلفات هرش السابق ذكره ، جزء ١ ، ص ١٥ ٠

ابريتس » أو « مهنة دنيوية » ، فهو أخذها بمعنى « مدنية العصر » ، وعلى هذا الأساس ، جعل التعليم فى مدرسته تعليما دينيا وعلمانيا ، وتصور هرش أن واجب العصر هو بناء علاقة جديدة بين التوراة وحضارة القرن التاسع عشر . لا يختلف هذا التصور عن تصور الاصلاحيين فى شيء ، وكل ما فى الأمر أن هرش لا يوافق الاصلاحيين فى ما بنوه من علاقات معينة ، فبينما اتخذ الاصلاحيون أفكار وقيم الحضارة المعاصرة كمعيار ثم قاسوا بها التوراة وأحكامها فتقبلوا البعض ونقضوا البعض الآخر ، يريد هرش أن يتخذ التوراة كمعيار ثم يقيس بها أفكار وقيم الحضارة المعاصرة . ورأيه أن أفكار وقيم التوراة خالدة بينما أفكار وقيم الحضارة المعاصرة وقتية ولا بد لها من التغير ، اعتبر الاصلاحيون الحضارة الأوروبية كأعلى مرحلة من مراحل التقدم البشرى ورأوا أن على الدين اليهودى اما أن يتفق معها أو يموت . أما هرش ، فقد رأى أن اتفاق الدين اليهودى مع الحضارة الأوروبية هو أيضا موت محقق للدين وعليه ، ارتأى أن الحل الأعدل والأنجح والأصدق هو أن نأخذ قيم التوراة الخالدة كمقاييس نقيس بها صلاحية مثل القرن التاسع عشر . وألف كتابه « ١٩ تحريرا لابن أوزيال » مفسرا هذا المبدأ ومطبقا له على لسان نفتالى ، الشخصية الروائية التى اتخذها ليجيب بن أوزيال على ادعاءاته بأن الدين اليهودى دين مغلق وأن لا أمل لليهود الا برفضه وتبنى قيم القرن التاسع عشر .

وقال هرش فى أحد أجوبته لابن أوزيال انه يلزم لنفهم الدين اليهودى — وكم بالأحرى للحكم له أو عليه — أن يتخذ الباحث موقفا من داخل الدين اليهودى لا من خارجه ، وذلك لأن الدين اليهودى « ظاهرة تاريخية » تطورت عبر العصور ، فلها اذن فحوى ونظام ينبع من داخلها وينشأ من جذورها ، وهذه الجذور فى التوراة التى اكتشفت « قانون الحياة الحقيقى » . علينا أن نتبين علاقة مرمى التوراة وغايتها بكل ما نحن بصدده على حدة (١٥) .

---

(١٥) انظر كتاب « ١٩ تحرير » السابق ذكره ، التحرير الثانى ، صفحة ١٣ — ١٥ .

وركز هرش موقفه على قاعدة غائية الوجود وكل ما فيه من مخلوقات تعمل كلها فى اتجاه الغاية القصوى التى أرادها الله للدنيا كوحدة . وكان يستمد ايمانه بالغائية من التوراة . وأدى به ايمانه هذا الى تصور مبدأ الخلق الأول « كخدمة متبادلة مضطردة بين الانسان وسائر المخلوقات . فالانسان يعطى لكى يأخذ ويأخذ لكى يعطى »(١٦) ، وبما أنه أرقى المخلوقات صور على صورة الاله ، سخر له كل شىء ، فهو أكثر الآخذين أخذا ، ولكنه بهذا ينتظر منه أن يكون أكثر الخادمين خدمة ، وبالاضافة الى هذا . تكون خدمة الانسان واعية وكذلك أخذه . وكان هرش أراد بذلك ايجاد قياسين لسلوك الانسان . قياس داخلى وآخر خارجى ، فالخارجى هو مطابقة السلوك لقوانين التوراة . أما الداخلى ، وهو الأهم ، فهو مطابقة سلوكه بامكانياته وموهباته لتحقيق ارادة الله « كلما عظمت الامكانيات وكبرت المواهب ازدادت واجبات الخدمة . والعكس بالعكس » ، فالحياة اذن ، يمكنها أن تفشل فشلا ذريعا بالرغم من أنقى العواطف والغايات اذا كانت الأفعال غير حسنة ، كما أنه يمكنها أن تكون عظيمة ومفلحة أكبر الفلاح بالرغم من أضأل النتائج اذا لم تسمح الظروف والامكانيات بانجازات أكبر » . فقوة الانسان وضعفه ، حكمته وعدمها ، غناه وفقره ـ كل ذلك محدد بارادة الهية لا تتبدل ، أما فضيلة الانسان وتقواه ، فهى ثمرة ارادته الحرة ونتيجة استخدامه الحر للملكات التى وهبها الله له (١٧) .

ثم تصور هرش أن نشر هذه النظرة الى الانسان هو رسالة اسرائيل الخاصة . على اسرائيل مسئولية تحقيق غائية الانسان فى خدمته خلال تاريخها وبحياة كل فرد من أفراد شعبها فى حياته اليومية . ولكى تحقق اسرائيل رسالتها ، يجب عليها أن تظل منفصلة عن شعوب العالم أخلاقيا وروحيا . فالاسرائيليون محرم عليهم العيش كبقية الناس ، اذ

---

(١٦) المصدر السابق : التحرير الثالث ، صفحة ٢٣ .
(١٧) المصدر نفسه ، التحرير الرابع ، صفحة ٣٣ ـ ٣٦ .

لا يجوز لهم عبادة المال واللذة ثم اعلام البشر فى الوقت ذاته أن الله واحد ، وأنه الخالق والمشرع والأب لجميع المخلوقات (١٨) ٠

أى منطق معوج ! اذا كان الله أبا لجميع المخلوقات فالبشر اخوة ٠ واذا كانت رسالة اسرائيل نشر غائية الانسان كخدمة أخوية لوجه الله تعالى ، كيف لها أن تميز نفسها عن البشر وتنفصل عنهم ؟ وهل تحقيق القيمة مجرد اعلام ؟ ألا يتطلب قبل كل شىء تحقيقها فى نفس المعلم ؟ وألا يجعل مثل هذا التحقيق القائم به يشعر قبل كل شىء بأنه كالبشر ، لا أقل منهم عن أولئك الذين آمنوا بها من غير اليهود وقدموا أنفسهم لخدمتها ؟

أى منطق معوج ! الا أن اليهود لا يبالون لأبسط قواعد المنطق عندما يختص الأمر بانفصالهم عن الناس ٠ وها هو هرش يقول « ان قوانين التوراة الكثيرة والمعقدة ومبادئها العديدة كلها أعطيت لاسرائيل لوحدها حتى يتم انفصالها وتمييزها عن البشر » ، « وان الله أراد من هذه القوانين تأهيل اليهود وتدريبهم على القيام برسالتهم وتحقيق مصيرهم » (١٩) ٠

وهناك نقطة التقى فيها فكر هرش بفكر مندلسون : ألا وهى أن الدين اليهودى ليس دينا عقائديا كالدين المسيحى بل دينا عمليا ٠ « فهو (أى الدين اليهودى) سن لليهود ستمائة وثلاثة عشر واجبا ولكنه لم يضع أية عقيدة » ٠

وقال هرش : « ان الفكر الصحيح هو الذى يأخذ الطبيعة والانسان والتاريخ كحقائق مسلم بها ويبنى عليها علمه مستقيا منها المعرفة والحكمة ٠ وهو الذى يضيف الى هذه المسلمات التوراة لأنها حقيقة لا شك فيها كحقيقة السماء والأرض ٠ والفكر الصحيح لا يعتبر أى تصور

---

(١٨) المصدر السابق ، التحرير السابع ، صفحة ٦٦ — ٧٠ ٠

(١٩) المصدر ذاته ، التحرير الثامن ، صفحة ٧٦ ؛ التحرير العاشر ، ص ١٠٢ ٠

لا يؤدى فى نهاية الأمر الى حياة النشاط والانتاج ... » (٢٠) . ولعله فى هذا كان يريد دحض دعاة « الدراسات العلمية فى الدين اليهودى » لأنه انتقدهم فى مكان آخر بأنهم « ينظرون الى اجتهاد أسلافنا الثقافية باحتقار شديد » . وقابل بين ما أنجزه أولئك الدعاة وما أنجزه دارسو التوراة خلال الأجيال فسفه الأول . وقال : « عند الأوائل كان العلم والحياة متصلين . الحياة متأهبة للعلم لأن العلم كان يخدم الحياة ، لأن العلم اليهودى ليس الا علم الحياة بالذات . وهو العلم الذى بنى حتى يطبق على الحياة عملها » (٢١) .

يعود هرش الى قضية انفصال اسرائيل ويقول ان الانفصال الذى يدعو اليه روحى ، ويجب أن لا يفهم منه أنه يوجب الانفصال الجسمى ، فاليهودى الذى يتمم واجباته الدينية كيهودى ، يحصـــل على احترام وتقدير زملائه غير اليهود . واليه اذ يرجع أمر الاختلاط بهم للدرجـة التى يطيق ، ومن هذا توصل هرش الى امكانية « التوفيق بين مواطنية اليهود فى العالم الخارجى وبين تحقيقهم لرسالتهم اليهودية » . وفسر هرش هذه الامكانية على أساس أن الاستقلال القومى لشعب اسرائيل لم يكن أصلا وفى أى وقت جزءا جوهريا من رسالة اسرائيل » . « الأرض وما عليها لم تكن فى أى وقت العروة الجامعة لاسرائيل ، بل واجب التوراة العام » وذلك لأن وحدة اسرائيل وحدة روحية ، لا تختص بالحياة السياسية أو الوحدة الأرضية ، وعليه ، ليس من شىء فى الدين اليهودى يمنع اليهودى من الانتفاع بجميع مكاسب التحرير » (٢٢) .

وخلاصة القول ان هرش عارض الحركة الاصلاحية لأنه رأى فيها تصنعا . فهى فى رأيه « تأخذ نقطة ارتكازها خارج اليهودية فى مبادىء

---

(٢٠) المصدر السابق ، التحرير الخامس عشر ، ص ١٤٦ ــ ١٤٩ .

(٢١) انظر كتاب هرش (Judaism Etermal) السابق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢ ــ ٢٨٤ .

(٢٢) انظر كتـــاب « ١٩ تحـرير » الســـابق ذكره ، التحرير الخامس عشر ، ص ١٥٧ والتحرير السادس عشر ، ص ١٥٩ ، ١٦١ ــ ١٦٥ .

مستعارة من غير اليهود تطبقها على غاية الانسان وحريته ، وهى من ثم تحاول من هذه الوجهة الغريبة والمستعارة الحذف ، والتضييق ، والتحديد أو النقض لمبادىء الدين اليهودى ومقتضياته » (٢٣) ، أما الاصلاح الصحيح فهو اصلاح الذات حسب مبادىء الدين اليهودى الأزلية ، هو ضم التقدمية للدين ، لا الدين للتقدمية . « فعند الاصلاحيين ، يعتبر الدين صالحا ويعمل بمقتضياته فقط الى الحد الذى لا يتعارض مع التقدم . أما عند الأورثوذكس فالتقدم صالح ويعمل بمقتضياته فقط الى الحد الذى لا يتعارض مع الدين » (٢٤) .

* * *

٦ ـ أول المعاهد الأرثوذكسية :

تخرج معظم ربابنة الأورثوذكس من المدارس التقليدية القديمة المسماة « يشيبوت » تلقوا العلم على أيدى أساتذة ناهضوا التقدم ومنعوا أية علوم جديدة من الدخول الى برامج التعليم . ولم يكن هنالك معهد لاهوتى يهودى يدين بالمبادىء الأورثوذكسية الى أن قام اسرائيل هيلد سهايمر (١٨٢٠ ـ ١٨٩٩) بانشائه . وكان تمكينه من انشاء مدرسة لاهوتية جديدة شرطا من شروط تقبله التعيين كحاخام لمدينة ايزنشتاط بالمجر سنة ١٨٥١ . وقام بتأسيس المعهد وادارته ١٨ عاما وأدخل فى برامجه مواد اللاتينية والافريقية والألمانية والحساب اضافة الى المواد التقليدية .

وفى سنة ١٨٦٨ زاد فى انقسام اليهود الى أورثوذكس واصلاحيين ، أن الأورثوذكس انقسموا فيما بينهم الى حاسيديم وميتناجديم ، أى الى متصوفة وتشريعيين ، مما أدى الى تدهور الموقف لدى يهود هنغاريا برمتها ، وعليه استقال هيلد سهايمر من منصبه . وانتقل الى برلين حيث دعته هيئتها الأورثوذكسية ليكون حاخاما لها . وهناك كرر هيلد سهايمر

---

(٢٣) المصدر السابق ، التحرير السابع عشر ، ص ١٧٤ .

(٢٤) انظر كتاب هرش (Judaism Eternal) السابق ذكره ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ وما يليها .

مطلبه فى تمكينه من تأسيس معهد لتخريج الحاخامين الأورثوذكس . فتقبل منه وتأسس المعهد فى برلين سنة ١٨٧٣ . ولم يكن معهد ايزنشتاط بل معهد برلين الذى خرج أول فوج من الحاخامين الأورثوذكس (٢٥) .

***

٧ ـ الملة الأورثوذكسية فى أمريكا :

يحق القول بأن فى بداية استيطان اليهود فى أمريكا ، كانـــوا جميعا يدينون بمذهب واحد ، هو المذهب التقليدى ، وفى النصف الأول من القرن التاسع عشر ابتدأت حركة الاصلاح تبذر بذورها وترعى قواها القليلة الضعيفة التى نشأت فى ذلك الحين . ولعله يحق القول أيضـا أن حركة مناهضة لحركة الاصلاح ابتدأت فى نفس الوقت تبذر بذورها وتعرض دعواهـا على الناس . الا أنه لـم يكن للحركة الأورثوذكسـية المفكرون والمتعلمون الذين توفروا لحركة الاصلاح . ولم يتسن لزعـيم الأورثوذكس ، الحاخام اسحاق ليزر ، تأسيس مدرسة يهودية الا فى سنة ١٨٦٧ . ومع هذا فان هذه المدرسة التى سـماها بكلية ابن ميمون والتى أسسها فى فيلادليفيا ، لم يكتب لها من العمر سوى ست سنوات ، اقفلت بعدها لعدم وجود الطلبة وعدم وجود المال .

وحاول الحاخام ليزر لم شمل اليهود التقليديين فى أمريكا بشتى السبل منذ أوائل القرن الماضى . فأسس مجلة (The Occident and American Jewish Advecate) سنة ١٨٤٣ محاولا الابقاء على فكرة تجمع اليهود وتقديم وعيهم كيهود . وكانت هذه الفكرة لم تتحقق لدى اليهود فى أمريكا الا سنة ١٨٤٠ وكان مدارها ما سمى فى ذلك الحين : « بقضية دمشق » . فهى الحادث الذى جعل يهود أمريكا يتفقون لأول مـــرة على توحيد جهودهم فى العمل السياسى لمنفعة الشعب اليهودى خـارج أمريكا . يقول الأستاذ عبد الكريم غرايبة فى كتابه « **سورية فى القرن التاسع عشر : ١٨٤٠ ـ ١٨٧٦** » فى « قضية دمشق » :

---

(٢٥) راجع كتاب (Scnwab) السابق ذكره ، ص ٤٨ ـ ٥٩ .

« وكانت متاعبهم (أى اليهود الدمشقيين) مع المسيحيين أخطر اذ اتهموهم بخطف المسيحيين لقتلهم وخلط دمهـم بالفطير بـدلا من دم خروف الفصح واتهم اليهود فى دمشق بقتل الأب توما الكبوشى • وكان الأب قد اختفى يوم الأربعاء ٢ ذى الحجة ١٢٥٥ / ٢٥ فبراير (شباط) ١٨٤٠ فاهتم القنصل الفرنسى بالأمر وأقنع السلطات المحلية بتفتيش الحى اليهودى والتحقيق مع بعض اليهود لا سيما الحلاق سليمان اليهودى • ووقع سليمان يوم الأحد فى ١٤ ذى الحجة على اعتراف بأنه ذبـح الأب توما بأمر الحاخامين • ووجدت بعد ذلك عظام بشرية ولحم بشرى فى ساقية فى حارة اليهود فقويت الأدلة ضد اليهود ، وأخيرا أعلـن الحاخام موسى أبو العافية اسلامه واعترف بذبح الأب توما ليصنع من دمه فطيرا أرسل قسما منه الى بغداد • واعتقل عدد من اليهود وتضـامن اليهود فى دمشق وأنحاء العالم لاثبات براءة المتهمين اليهود • وأخيرا قدموا مبلغا من المال الى محمد على باشا كدليل على براءتهم فأطلق الحاكـم المصرى شريف باشـا سراح المتهمين وأغلق التحقيق وحفظت القضية • ووقف قنصلا بريطانيا وروسيا الى جانب اليهود خلال هـذه الأزمة » (٢٦) •

وردد الحاخام ليزر طلبه بأن يؤلف يهود أمريكـا هيئة اتحـادية لادارة أعمالهـم الجماعية والسـهر على مصالحهـم ، وساعده فى ذلك الحاخام اسحاق وايز ، حاخام الاصلاحيين • اذ كانت هذه المصالح العامة مشتركة لكافة اليهود ، ولم يفرق بينهم فيما يتعلق بها أن كانوا اصلاحيين أو تقليديين أو أورثوذكس • ولعـل وعيهم كيهود أدى بهـم الى تناسى اختلافاتهم فى سبيل المصلحة العليا لا سيما ما يختص منها بسـلامة اليهود أنى كانوا •

---

(٢٦) عبد الكريم غرايبة : « سورية فى القرن التاسع عشر ١٨٤٠ — ١٨٧٦ » •

محاضرات ألقاها على طلبة معهد البحوث والدراسـات العربية • القاهرة : جامعة الدول العربية ، ١٩٦١ / ١٩٦٢ ، صفحة ١٢٥ •

تعاون اليهود فى « قضية دمشق » رغم اختلافهم الدينى . لكن هذا الاختلاف لم ينته الى اقناع الجميع بضرورة الاصلاح ثم القيام به . ذلك أن الحاخام ليزر ، فى أشد أوقاته حرصا على التعاون مع زملائه ، مانع فى ادخال أى تعديل على الدين ، بل وعارض فكرة اضطلاع الربانية الأمريكيين بمهمة الاصلاح وذلك لأن معظمهم كان من الاصلاحيين .

ولكنها كانت الهجرة اليهودية الى أمريكا هى التى غمرت الموقف . ففى السبعينات والثمانينات من القرن الماضى ، تدفق تيار من مهاجرى أوروبا الشرقية على أمريكا دانوا جميعا بالمفهومات التقليدية وجاءوا بحاخاميهم وأنظمتهم ولغتهم « الليدش » . فلم يكونوا بحاجة الى ما تكون فى أمريكا من فكر أو نظام يهودى . وكانوا ينظرون الى مأواهم الجديد كأنه « جالوت » أو منفى مضاعف ، فهو أولا منفى من اسرائيل القديمة وهو ثانيا منفى بمعنى تنحى واقصاء المهاجرين الجدد عن الشعب اليهودى فى أمريكا الذى لا يمكنهم التعايش معه أو الاختلاط بـه .

وكان طبيعيا أن يتعاون هؤلاء المهاجرون المتعصبون مع الحاخام ليزر ضد الحركة الاصلاحية . وبالفعل ، تم تعاون الفريقين ، لا سيما بعد أن أعلن الاصلاحيون موقفهم مبلورا ومقررا نهائيا فى مؤتمر بيتسبورج عام ١٨٨٥ الا أن ذلك لم يدم وعندما تم تأسيس معهد لاهوت الحاخام اسحاق الحنان سبيكتور فى نيويورك سنة ١٨٩٧ من قبل الأوروبيين الشرقيين تجديدا لولائهم للحاخام المذكور ، وكان من عظماء التلموديين فى مدينة كوفنو فى ليتوانيا ـ حصل الاختلاف من جديد بين التقليديين من أوروبا الشرقية والتقليديين الأمريكيين ولم يعترف الآخرون بخريجى المعهد الجديد .

وأخيرا ، ضم معهد يشيبا اترحاييم الى المعهد المذكور سنة ١٩١٥ ، وأعيدت تسمية المعهد المشترك سنة ١٩٢٨ فاصبح يدعى « كلية يشيبا » ، ثم « جامعة يشيبا » . وسيطر تقليديو أوروبا الشرقية عليه

وأصبحوا هم الممثلين للملة الأورثوذكسية ، أما التقليديون الأمريكان الأوائل فقد ذابوا من الوجود وانصهروا ضمن يهود أوروبا الشرقية . والسبب فى ذوبانهم يرجع الى عدم توفر أيديولوجية مستقلة لهم ، فالصحيح ، أن الموقف الأورثوذكسى كله فى أمريكا ليس له فلسفة تذكر . وأهم ما فيه هو التقليد . والتقليد ليس بفلسفة وهو غير خلاق .

يقول الحاخام ليويونج ، أشهر زعماء المفكرين الأورثوذكس الأمريكان مدافعا عن صلاحية التلمود للقرن العشرين : « خذ التشريع التلمودى مثلا : ان وسائل المواصلات الحديثة لم يرد لها ذكر فى المشناه ، ولكنها مذكورة بل ومفروغ منها فى أبحاث الربابنة التلمودية الذين عاينوا مسائلها عن طريق معاينة وسائل المواصلات فى الامبراطورية الرومانية القديمة وقوافل الجمال فى أيام الاستقلال الفلسطينى » (٢٧) .

ولا غرو أن رفض هذا الموقف قسم من اليهود الذين يؤمنون بالتوراة ولكن لا يستسيغون مثل هذا الحشو الفارغ الذى لا يفرق بين الجمال ومراكب الفضاء ، وهؤلاء ليسوا بالاصلاحيين بل بالمحافظين . وسنتناول بحث نشأتهم ومبادئهم فى الفصل التالى .

* * *

٨ ـ عقيدة الملة الأورثوذكسية :

يعرف الأورثوذكسيون عقيدتهم كما يلى :

أولا : الدين اليهودى ليس عقيدة كما هو الحال فى المسيحية ، والخلاص ، أو الفلاح ، ليس بالايمان ، بل بالعمل ، فالدين اليهودى نظام حياة قبل أن يكون عقيدة .

---

(٢٧) انظر مقال Leo Jung, «What is Orthodox Judaism» فى كتاب : The Jewish Library, 2nd Series. New York, 1930, ed Leo Jung صفحة ١١٤ وما يليها

وانظر أيضا لنفس المؤلف بعنوان Judaism نشره :
The National Council of Jewish Women 1945, p. 5.

ثانيا : مصدر التوراة هو الله ٠ فهو صانعها ومؤلفها وكاتبها حرفا بحرف ٠ والتوراة هى الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس كما هو اليوم ٠ وهى التوراة المكتوبة ٠ سلمها الله لموسى تسليما يدا بيد عندما أظهر نفسه على شعبه اسرائيل المجتمع فى أسفل الطور ٠ وكذلك ، أعطى الله لموسى على طور سينا وفى نفس الوقت الذى سلم فيه التوراة المكتوبة ، توراة أخرى ، غير مكتوبة ، شفهية ، هى مجموعة القوانين والنظم والترتيبات التى دونت فيما بعد ، بعد أن تناقلها الاسرائيليون شفهيا جيلا بعد جيل بالتواتر ٠

ثالثا : لأجيال طوال كان محرما وضع هذه القوانين فى كتاب ، ولكن عندما تعرضت التوراة الشفهية للخطر بسبب تضعضع أحوال اسرائيل السياسية ، سمح الربابنة بتدوينها كى لا تضيع وتفسد فالتوراة الشفهية هى المشناه ٠ وجملة التوراة المكتوبة ، والتوراة الشفهية ، والقوانين والأنظمة والترتيبات التى توصل اليها الربابنة بطريق التفسير والتأويل والتحليل المتفقة مع مبادىء التوراة ، تكون فى جملتها ما يسمونه « الحلقاه » ٠

رابعا : يعتبر اليهودى الأورثوذكسى « الحلقاه » كنظام معيارى للحياة : أى للدين وللدنيا معا ٠ وهو يؤمن أن الحلقاه تتطلب منه تطويع جميع طاقاته لتحقيق كل بند من بنودها مهما كلف ذلك من تضحيات ٠

خامسا : يؤمن اليهودى الأورثوذكسى بمصدر التوراة الالهى كمقولة أولى وعليا لتفكيره على جميع المستويات ، وعلى هذا الاعتقاد يبنى اليهودى الأورثوذكسى حجته أنه بما أن التوراة مستمدة من الاله والاله أزلى ، فانها هى أزلية ، تطبق على مدى العصور وفى جميع الأمكنة بدون أى تغيير أو تبديل ٠ وعليه ، يؤمن الأورثوذكسى أنه يجب أن تتغير الحياة لا القانون حين يعترض القانون بالحياة ٠

سادسا : على اليهودى الأورثوذكسى أن لا يستنتج من المبدأ الخامس

أنه لا يمكن التعايش مع غير اليهود أو مع العصر الحديث ، فهو يؤمن بامكانية هذا التعايش ، بل بأن التوراة تأمر به بشرط أن ينصاع كل شيء الى مبادئها وقوانينها ٠

سابعا : فقط أولئك الذين تخرجوا من معاهد الربانة الأورثوذكسية وحصلوا منها على اجازة « سميحا » لهم الحق فى اقامة الطقوس الدينية والتكلم فى أمور الدين وتفسير التوراة ٠ وعليهم طبعا القيام بهذه الواجبات تماما كما قام بها الأولون بالتواتر ٠

* * *

٩ ـ نظم الملة الأورثوذكسية :

٠ يلقن الأورثوذكس تعاليمهم لأبنائهم حتى يجعلوا منهم حاخامين وربابنة فى مدارس خاصة تسمى « يشيبا » ، وفى مدارس الى شيبوت (جمع يشيبا) فى امريكا ما يقدر بخمسين ألف طالب ٠ وهو عدد ضئيل بالنسبة للأربع ملايين أو يزيد من اليهود الأورثوذكس القاطنين فى الولايات المتحدة الأمريكية (٢٨) ٠ ولا يزال معظم سكان أوروبا الشرقية

---

(٢٨) قالت مجلة : (Saturday Evening) فى مقال لروجر كاهرة نشرته فى عددها العاشر للسنة الواحدة والأربعين بعد المائتين بتاريخ ١٨ آيار (مايو) ١٧٦٨ فى صفحة ٣٤ وما يليها بعنوان (The Passicnate People) ما يلى : « ان عدد اليهود الأورثوذكس سنة ١٩٦٤ فى الولايات المتحدة بلغ ٢٠٤٨١٥ من الرجال الراشدين ينتمون لألف وستمائة وسبع كنائس ، هذا وأن نصفهم يقطنون فى ولاية نيويورك وجميع هؤلاء ينحصرون فى المدن الكبرى فى الولاية ٠ أما عدد اليهود الأورثوذكس الصحيح فهو غير معروف ، وكل ما يمكن لنا هو التخمين ٠ لعلهم بلغوا السبعمائة ألف رجل راشد » ٠ والحقيقة لا يعرفها الا اليهود أنفسهم بل حتى هم لا يعرفونها تماما بالنظر لوجود الكثيرين ممن ينكرون دينهم طمعا فى كسب المال أو السلطة أو الجاه ، وبما أن الدستور الأمريكى يحرم سؤال أى مواطن عن دينه ، لا تملك أية هيئة أمريكية ، بما فيها الحكومة ، أية احصاءات يمكن الاستدلال بها عن عدد اليهود أو عدد المنتمين لأية ملة يهودية ٠ وقد كان دائما ولا يزال من مصلحة الهيئات اليهودية أن تقلل من عدد أعضائها حتى تظهر بمظهر القلة المغلوب على أمرها وتنال عطف المواطنين فى كل مكان ٠

بما فيها روسيا يدينون بالمذهب الأورثوذكسى . الا أن التعليم الدينى فى البلاد الشيوعية جد ضعيف . ويعطى الطالب عند انتهاء دراسته اجازة تسمى « سميحا » لها من المكانة ما لعملية الـ (Ordination) فى الكنيسة المسيحية .

ولعل أقوى ملة أورثوذكسية يهودية فى العالم هى الموجودة فى اسرائيل وذلك لا لعدد أفرادها أو لتمسكهم العنيد بالتوراة والتلمود وحذافير قوانينها ، بل لتمتعهم بالدعم السياسى والحكومى للدولة . فالدولة الاسرائيلية لا تعترف بأية ملة سوى الملة الأورثوذكسية .

وسبب ذلك يرجع الى العهد العثمانى فى فلسطين ، حيث كانت الادارة تتبع النظام الملى ، وهو النظام الذى وضعه النبى ﷺ فى المدينة والتى كان ميثاقها المعروف وأولى وثائقه فالمذهب الملى لا يعترف بحقوق مدنية للأفراد الا على أساس عضويتهم فى مللهم المختلفة . فأحوالهم الشخصية ومعظم معاملاتهم مرتبطة بالقانون الذى تعمل بـه ملتهم ، وليس للفرد هوية أو حقوق سياسية ومدنية الا التى تنبع من كونه عضوا فى هذه الملة أو تلك . وكما كانت الحال فى الجيتو الأوروبى ، كان للملة فى النظام الادارى العثمانى هيئة من رجال الدين والقانون تعترف بها الحكومة كالسلطة العليا لتسيير امور الملة الجماعية والفردية . وكان للملة اليهودية فى فلسطين مثل هذه الهيئة يرأسها حاخامهم الأكبر ، وطبعا ، كانت كلها من الملة التقليدية المحافظة أو الأورثوذكس ، اذ لم يكن فى الامبراطورية العثمانية حركة اصلاحية فى الدين اليهودى على الاطلاق .

وبعد أن جـاء الاحتلال الانجليزى ، تألفت حكومة الانتداب الانجليزية معتبرة نفسها وريثة الحكم العثمانى فابقت الأوضاع على ما كانت عليه واستمر الاعتراف بالهيئة الأورثوذكسية كممثلة لجميع اليهود . وما أن شكلت الوكالة اليهودية لفلسطين حتى أدمجت الهيئة الملية فيها وأصبحت دائرة من دوائرها .

ويقبل ذلك الوضع المجلس الصهيونى العالمى ، وهو السلطة العليا للوكالة ، لسببين :

الأول : أن أغلبية أعضائه كانوا ولا يزالون من الاورثوذكس ، وذلك لأن الأورثوذكس فى العالم هم الأكثرية ٠

والثانى : لأن الصهيونية مبدأ تقليدى محافظ يتجانس مع المبادىء الأورثوذكسية وقد رأينا أن الفكر الاصلاحى كان يعارض الصهيونية كمبدأ ويدعو اليهود الى الانسجام فى المحيطات التى يعيشون بها ويتنصلوا من القومية اليهودية التى نادت بها التوراة خلال القرون ٠ فلا غرابة اذن أن لم يكن لهم فى المجلس الصهيونى العالمى صوت مسموع ٠

ولم يغير شيئا من هذا ما تدفق على فلسطين من هجرة يهودية قبل ١٩٤٨ اذ كان معظم المهاجرين من أوروبا الوسطى والشرقية حيث كانت الأكثرية أورثوذكسية ٠ أما بعد ١٩٤٨ فقد هاجر يهود الشرق العربى الى اسرائيل مكونين نصف سكانها أو أكثر ٠ وهؤلاء جميعا من التقليديين المحافظين الذين لم يسمع بينهم صوت اصلاحى واحد يجعلهم يميزون انفسهم كأورثوذكس أو غير أورثوذكس عن الأورثوذكس الأوروبيين ومن الطبيعى أن يخضع هؤلاء كلهم الى تحكم الهيئة الأورثوذكسية فى أحوالهم الشخصية وحياتهم الدينية ٠

وعندما قامت الدولة الاسرائيلية سنة ١٩٤٨ وتحولت الوكالة اليهودية الى حكومة رسمية للبلاد المحتلة ، أصبحت دائرة الهيئة اليهودية الأورثوذكسية فيها وزارة للشئون الدينية فاكملت سيطرتها على جميع اليهود ٠ فبينما كان يمكن اليهودى الشاذ فى عهد الانتداب البريطانى أن يعقد نكاحه حاكم مدنى بريطانى ، أصبح بعد قيام اسرائيل لا يجوز لأية سلطة أو هيئة أن تقوم بأى اجراء يتعلق باليهود الا اذا كانت سلطتها مخولة لها من قبل وزارة الشئون الدينية الأورثوذكسية ٠

ويجب أن لا يفهم من اتباع اسرائيل كمجتمع ودولة للملة الأورثوذكسية أن الاسرائيلين كلهم يؤمنون بالمبادىء الأورثوذكسية ، فالحقيقة التى لا تقبل الجدل فى أن اسرائيل ، وان تمسكت كمجموعة

بشعائر الذبح على الطريقة الكوشير ، وشعيرة السبت ، بتعطيل أعمال الحكومة وحركة المواصلات واغلاق المتاجر من مساء الجمعة حتى مساء السبت ، لا تتوانى دقيقة واحدة عن الضرب بالتوراة وقوانينها عـرض الحائط عندما تتعارض هذه مع مصلحتها السياسية والعسكرية ، فالأصدق هو أن تعرف كدولة علمانية لا تقل تقدمية من حيث تحقيقها لمصـالح الشعب اليهودى عن الاصلاحيين • أما من جهة الأفراد ، فالأصدق هو أن معظم المهاجرين الأوروبيين علمانيون لا يتقيدون بأحكام التوراة ومعظم المهاجرين الشرقيين تقليديون لا يزالون يدينون بولاء شبه تام ان لم يكن تاما للتوراة وشرائعها •



الفصل السادس

الملة المحافظة

١ ـ نشأة الملة المحافظة :

كانت أوروبا الغربية ، لا سيما ألمانيا ، المسرح الذى قامت فيه الحركات اليهودية فى القرن الماضى والتى نشأت عنها الملل المعاصرة ، وكانت الحركتان الرئيسيتان هما حركتى التنوير والتحرير ، وهما لم تنفصلا عن بعضيهما الا انفصالا زمنيا • فكلما جاء التنوير ، وزعزع أركان التعصب العنصرى والدينى ، تبعه ولو بعد زمن ، تحرير اليهود فى الجيتو تحريرا تدريجيا •

وقد فعلت كلتا الحركتان فعلهما فى الروح والفكر والحياة اليهودية ، ولكن على عكس النظام الزمنى عند المسيحيين • فبينما كان التنوير ياتى أولا ثم يتبعه التحرير ، كان عند اليهود ياتى التحرير أولا فيتيح الفرصة لليهودى للدراسة والمطالعة والاختبار فينتج عن تحرره تنوير عقله وتفتح روحه للحركات الفكرية والدينية المعاصرة • الا أنه لم يكن هذا التسلسل ضروريا ولازما • وقد رأينا أن بعض اليهود تنوروا وتعايشوا مع الحضارة المعاصرة بعد أن تحرروا ، وأن بعضا آخر لم يتنوروا وأبوا أن يجاروا الحضارة المعاصرة ، هؤلاء هم الأرثوذكس وأولئك هم الاصلاحيون •

على أن معظم الذين أرادوا التحرر وتقبلوه ، سواء من الاصلاحيين أو من الأرثوذكس ، شعروا بأنه لابد للدين اليهودى أو لشعائره من بعض التغيير مجاراة للعصر • ومع أنهم اختلفوا فى مدى هذا التغيير وفحواه ، اقتنع معظمهم بأن لا بد من محاولة جديدة لاقناع شباب اليهود الجامعيين بأن الدين اليهودى يصلح للعصر الحديث ، ولا غرو أن المثقفين والمتقدمين فى العلم والاختلاط بالمسيحيين مالوا الى مبادىء

الدين الأخلاقية ورسالته العالمية أكثر مما مالوا لشعائره الدقيقة التى ورثوها عن الآباء والأجداد · وطبيعى أن يعتقد هؤلاء المثقفون بأنها المبادىء الأخلاقية ، لا الشعائر والقوانين الدقيقة ، هى التى تجعل الدين اليهودى مجاريا للعصر والمدنية ·

وقد رأينا أيضا أن قسما كبيرا من يهود شرق أوروبا لم ير مثل هذا الرأى · فهؤلاء خافوا أن يضيع الدين تحت وطأة النزعات الجديدة لا سيما ما يتعلق منها بانحلال النظام الملى فى الجيتو · ورأينا أن قسما آخر قصروا التغيير الى الحد الأدنى الذى لا بد منه ، راضين عن التحرر ، ومطالبين بأن يكون لهم مكان فى القرن التاسع عشر ولكن مصممين على تحديد ذلك المكان كى يحافظ على النظام اليهودى للحياة وتبقى مؤسساته ، كلا القسمان أورثوذكسى بالرغم من تفاوتهما فى تقبل مدنية القرن · وهنالك قسم آخر من الناس أعلنوا استعدادهم لتقبل بعض العلوم الجديدة ايمانا منهم بانها لا تتعارض فعلا مع الدين وأكدوا أنهم فى حالة تعارضها مع الدين فانهم يأخذون بالدين · وظن هؤلاء الناس بأن الدين اليهودى هو الحكم والمرجع الاخير بل المقياس الذى تقاس به صلاحية العلوم الجديدة ، وهم لم يعارضوا فى احداث بعض التغيير فى طقوس العبادة بشرط أن لا يمس ذلك قوانين المعيشة اليهودية · وهؤلاء أيضا فرع من فروع الملة الأورثوذكسية ، فلا مراء اذن أن الأورثوذكس اليهود على أنواع عديدة تختلف عن بعضها بتفاوت درجات التعصب للماضى والتقدم نحو المدنية والعلوم فى كل منها ·

ولكن هنالك بون شاسع بين أكثر الأورثوذكس تقدمية وتفتحا وبين الاصلاحيين مهما اتسموا بسمة المحافظة أو التقليد · وكان لا بد أن يوجد أناس لا يجدون لنفسهم محلا لا بين هؤلاء ولا بين أولئك · ولعله الحق أن جايجر ولودفيج فيليبسون (١٨١١ ـ ١٨٨٩) وصمويل كاهان (١٧٩٦ ـ ١٨٦٢) كانوا يشيرون الى أولئك المتوسطين بين الأورثوذكس والاصلاحيين عندما قالوا قولهم فى الموضوع ، قال ابراهام جايجر : « أولئك بين بين ، يحاولون دمج الأفكار التقليدية السائدة بالتى ياتى بها التامل العميق ، ولكنهم ، فى غيهم الدينى ، مدفوعون

بتلك الآراء والصور التى تجعلهم يمثلونها كأنها تراث الصبا الثمين »(١)٠
وقال فيليبسون متفائلا : « أن رجال الوسط اصلاحيون أيضا ، فهم يريدون تنظيف الماضى وبعثه بروح جديدة » (٢) ٠ وأخيرا ، قال كاهان ، محرر مجلة (Archives Israélites de france) متمسكا بمبدأ الوسط :
« ان الاصلاحات التى أوافق عليها وأدعو لها هى اصلاح منهجنا التعبدى حيثما يختلف ذاك المنهج عن وقائعنا وعاداتنا ٠ انا ندعو الى اصلاحات ما كان أسلافنا ليقيموها لو كانوا يعيشون بيننا الآن ، ولكن لا بد للربانة واللاهوتيين اليهود من الاجتماع وبحث هذه الاصلاحات والموافقة عليها ، بل ان للأقلية غير الموافقة بيننا كل الحق برفض العمل بمثل هذه الاصلاحات بخصوص أعضائها » (٣) ٠ والواقع أنه يمكن وصف رجال الوسط بأنهم يتخذون خطوة واحدة أكثر من الأرثوذكس فى اتجاه الاصلاح ٠ لكنهم يأبون اتخاذ الخطوة الأخيرة فى نفس الاتجاه التى يمكنها أن تدفع بهم الى معسكر الاصلاحيين ٠

* * *

٢ ـ تحديد موقف زكريا فرانكل :

حاول زكريا فرانكل ، رئيس حاخامين مدينة دريسدن بألمانيا (١٨٠١ ـ ١٨٧٥) تعريف الموقف المتوسط ٠ وقام بذلك خلال صفحات مجلة : (Zeitschrift fur die religiosen Interessen des Judenthums) التى نشرت سنتى ١٨٤٤ و ١٨٤٥ ، وفى (Monatschrift fur geschichte und wissenschafi des judenthums) التى أسسها سنة ١٨٥١ وتولى

---

(١) Abraham Geiger, ed., Wissenschaftliche Zeitschrift für Jüdische Theologie. Frankfort, 1835, I, p. 9.
كما فى كتاب جوتتربلاوت السابق ذكره ، صفحة ١٩

(٢) كتاب جوتتربلاوت السابق ذكره ، صفحة ٢٠١٠
كلام فيليبسون من مجلة (Die Allgemeine Zeitung des Judenthums) التى كان يصدرها المؤلف فى لايبزج بألمانيا بتاريخ ١٨٣٧/٧/٢٧ ، صفحة ١٦١ وما يليها ٠

(٣) Samuel Cohen ed, Archives Israelites de France Paris, 1840, I, p. 234.

تحريرها ، وكان فرانكل أول حاخام فى مقاطعة بوهيميا (تشيكوسلوفاكيا اليوم) القى وعظه فى الكنيس باللغة الالمانية . قال فرانكل مؤنبــا لاورثوذكس : « يجب علينا أن نوقن أنه فى منهاج الملة الاورثوذكسية الذى يقعد عن الحركة والعمل ، ثم يدون فى دوامة بحثا عن الحقائق المعروفة والمؤكدة فلا يجدهــا ، هلاكيا محققا » . وقــد انب الموقف الاصلاحى بنفس اللهجة والعنف . ومــع اعتقاده بأن الدين اليهودى يجتاز أزمة شــديدة فى العصر الحديث ، فهــو يؤمن أن فى الدين من القوة ما سيمكنه من التغلب واجتياز الأزمة فى نهاية الأمر .

وقال فرانكل بالحرف الواحد مؤكدا توسط المبــدأ المحــافظ بين الأورثوذكس والاصلاحيين وكأنه يريــد أن يــلازم الطرفين النقيضين : « سأؤكد فى الصفحات اللاحقة تقدمية الدين اليهودى ، وأنا أعده من واجبى أن أمنع ذلك الاصلاح السلبى الذى يؤدى الى انحلال الدين اليهودى ، وأن أبين كيف تنطوى تعاليمه على امكانية التقدم العصرى .. صحيح أن أناسا عديدين من اليوم لا يولون الدين الأهمية والجد كما كان يفعل أسلافنا ونلاحظ أن آخرين يسيئون فهم أعماق الدين اليهودى فيدفعون به الى الانحلال فى مدنية هذا العصر . ولكن هذا يجب أن لا يكل همتنا ... فللدين اليهــودى مقومــات داخلية فحوية ثابتة فى استمراره عبر العصور وتقدمه . أما كيف لهذا التقدم أن يستمر الآن فذلك يجب أن يتعين بالبحث العلمى المســتند على أسس تــاريخيــة وضعية » (٤) . أى يتعين التقدم فى الدين اليهودى بالبحث العلمى المستند الى أسس تاريخية ووضعية . وبجملته الأخيرة أعطانا فرانكل أصعب وأعقد مبدأ فى الدين اليهودى المعاصر . وهو لم يستطع تفسيرها بوضوح ولم يفهمها أحد لا فى عصره ولا من بعده فهما أكيدا . ومــع هذا فقد أصبحت هذه الجملة مفتاح المبادىء المحــافظة وركيــزة الملــة

---

(٤) انظر كتاب بلاوت السابق ذكره ، صفحة ٢٣ نقلا عن كتاب زكريا فرانكل ، (Prospectus) ، المنشور فى برلين سنة ١٨٤٣ ، صفحة ٥ وما يليها .

برمتها ، بل « الوثن » الذى تمسكت به الفرقة التى أسسها فرانكل منذ ذلك التاريخ (٥) .

علينا أن نذكر أن كلمة « وصفى » و « وصفية » كانت دائرة على الألسن فى ذلك الوقت بعد أن أعطاها أوجست كونت معنى يقارب من معنى كلمة « علمى » أو « علمية » ، ولعل فرانكل عنى بعبارته مزيجا خاصا من الروح التقليدية والعلم الحديث يتمكن به اليهودى من الاحتفاظ بهويته وتراثه وفى نفس الوقت يجارى العصر ويتمتع بالمدنية الحديثة . قال : « ان مجرد الحاجة الى التغيير لا تبرر التغيير ، ولكنا لا نستطيع أن نتناسى أن الجمود خلال القرون الطويلة لا يلزمه تغيير ... كان الدين اليهودى الى الآونة القريبة دينا جامدا ، وكان ينبغى له أن يبقى كذلك طالما أن اليهود كانوا سعداء به . فان سعد الناس بدينهم وجب أن لا يغيروه ... ولا يزال اليهود متمسكين بجذورهم التاريخية ... وعليه ، لا بد للاصلاح اليهودى من تحقيق شرطين مهمين : هما ، اجماع الأمة والعلم . فبعد الايمان ، يضع اليهودى ثقته بالعلم ، فالتاريخ كله يشير الى أن لاهوتيينا لن يكون لهم ولا لدعوتهم أى تأثير ان لم يكن العلم التاريخى الصحيح باليهودية سلاحهم » (٦) .

فالاصلاح الجديد اذن ، الذى يدعو نفسه « الموقف التاريخى الوضعى » يهدف الى تحقيق الشرطين الآتيين : الاجماع والأساس العلمى ، وليس هذا الموقف ، من حيث الدعوة الى أساس من العلم ، بجديد . فقد سبق أن رأينا تأسيس (Wissenschaft des juden thums) الدراسة العلمية للدين اليهودى من قبل ليوبولد زونز ، وا . م . يوست وغيرهم . والفرق بينهم وبين ما دعا فرانكل اليه هو أن فرانكل حاول

---

(٥) هكذا سماها لويس جينزبرج (Louis Ginzberg) فى كتابه :
Students, Scholass & Saints. Philadelphia : Jewish Publication Society, 1928, p. 202.

(٦) كما فى كتاب بلاوت السابق ذكره ، صفحة ٢٤ .

فعلا تبين ديناميكية التطور التاريخى لليهودية ، باحثا وراء ما يفسر لماذا كان تاريخ اليهود ما كان وكيف حقق القانون لليهود ما أراد اليهود له أن يحقق . ويستند هذا الموقف الى يقين بان الدين اليهودى هـــو التعبير الدينى لروح الأمة اليهودية ، وهو بمثابة اجماعهـا الشـعبى العام » . وعليه ، يجب أن لا نثير مسألة عما اذا كان القانون من أصل سماوى أو أرضى . فطالما أن القانون يعبر عن هذا الاجماع الشـــعبى العام يجب أن يبقى سارى المفعول ، حتى وان كشف البحث التاريخى العلمى بأن وظيفة أو شعيرة ما لم تكن يهودية الأصـل بـل اخترعت لغرض نشأ فى ما بعد تدوين القانون ، فان المقياس الذى يجب أن نقيسه هو تحقيق تلك الوظيفة أو الشعيرة لاجماع يهودى شعبى عام . فـاذا صح ، يجب المحافظة عليها والا فلا بد من ازالتها وان كانت صادقة وأصيلة وقديمة قدم موسى ويمكننا اذن أن نقول ان فرانكل لم يكن يعنى فى كلامه عن التاريخ العلمى للدين اليهودى تاريخا علميا بالمعـــنى الصحيح . فاصول وتاريخ الديانة اليهودية الحقيقية لم تكن تعنيه بقدر ما كان يعنيه تحقق الاجماع الشعبى فى كل أمر من الأمور وتجاوبه مع أحكام القانون . وفسر فرانكل ، مذهلا الجميع ، بأن مبدأ تسـلم مومى التوراة الشفهية على طور سينا خرافة ابتدعها الربابنة كى يضفوا لونا من الحقانية على ما اقره الاجماع الشعبى (٧) .

يقول فرانكل : « لن يتيسر لنا الرجوع الى حرف التوراة . فالهوة بيننا وبينها سحيقة » (٨) وهــو أيقن انه سيقرب مـــا بين الطرفين المتخاصمين بهذه الطريقة الجديدة . الا أنه ، خلافا لمـا رجاه ، أسس حزبا ثالثا كبر وتضخم الى ان أصبح ملة يهودية ثالثة .

* * *

---

(٧) انظر تفاصيل ذلك فى كتاب جينزبرج السابق ذكره صفحة ١٩٥ ــ ٢١٦ ، وكتاب فيليبسون السابق ذكره صفحة ٢٢١ ــ ٢٢٥ ، ٢٦٨ ــ ٢٧٠ .

(٨) انظر كتاب بلاوت السابق ذكره ص ٨٦ نقلا عن :
Protokolle und Aktenstucke der Zweiten Rabbiner Versammlung. Juey 15-28, 1845, Frankfort, 1845, p. 18.

٣ ـ المدرسة التاريخية فى أمريكا :

قام فى أمريكا بعض الحاخامين يدعون الى الوحدة ويتوسطون فى وجهة نظرهم بين الاصلاحيين والأورثوذكس ، على نحو ما فعل الحاخامون المحافظون فى ألمانيا • ولعل حاخامى أمريكا غير الاصلاحيين وغير الأورثوذكس كانوا يميلون الى الفلسفة الاصلاحية أكثر من ميلهم الى الفلسفة الأورثوذكسية ، غير أن تدفق الهجرة على أمريكا من أوروبا الشرقية قطع على المحافظين الأمريكيين الطريق بأنه أعطى للأورثوذكس أكثرية ساحقة • ولكن أكثرية هؤلاء من المتعصبين المتعنتين ، وهذا دفع الأورثوذكس الميالين الى التطبع بالمدنية الأمريكية الى الوسط • فبينما زادت هجرة اليهود من شرق أوروبا فى نقل الأورثوذكس زيادة هائلة ، دفعت بالقسم اليسارى منهم الى معسكر المحافظين • ومن هؤلاء الحاخام الشهير اسحاق ليزر ، الذى طالما حارب الاصلاحيين من وجهة نظر الأورثوذكس ، حتى أصبح فى نهاية عمره يدافع دفاعا مستميتا عن وجهة نظر المحافظين •

رأى المفكرون المحافظون فى أمريكا أن التراث الأدبى والدينى الضخم لاسرائيل ليس الا انتاجا ثقافيا ، حصل خلال نشوء وتطور وارتقاء الأمة اليهودية فى مختلف الأزمنة والأمكنة • وهم لم يرضوا عن محاولة الاصلاحيين لقطع هذا التراث الضخم مرة واحدة ، ولا عن محاولة الأورثوذكس لتقديس وتطبيق كل ما حواه هذا التراث • وكما فعل فرانكل هم تفهموا هذا التراث كنتاج للروح اليهودية فى الوقفات التى اتخذتها هذه الروح حيال الأزمات التاريخية التى جابهتها ، وآمنوا ، كما آمن فرانكل ، بأن الدراسة العلمية لهذا التاريخ يمكنها أن تجلى القيم التى استهدف الأسلاف تحقيقها عن طريق هذا التراث وأنه بالتالى يمكن لهذا الجيل فعل ما فعله أولئك الأسلاف •

فمن الواضح اذن أن المحافظين الأمريكيين لم يعارضوا التغيير الذى دعا اليه الاصلاحيون فكلاهما مقتنع بضرورة التغيير وحتميته • ولكن المحافظين أرادوا أن يكون وحى التغيير نابعا من أعماق الروح اليهودية

لا من خارجها • ولا شك انهم فى موقفهم هذا يمثلون الفلسفة الداروينية التى سيطرت على العقل الغربى طوال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فكلما أثيرت مشكلة من المشاكل جاء المحافظون بكمية هائلة من المعلومات التاريخية والشروح المتعلقة بالحل التاريخى للقضية ذاتها ، تماما كما يفعل علماء الطبيعة عندما يواجهون مسألة ما ، وقد اراد المحافظون أن تكون طريقة العلم هى المتبعة فى معالجة جميع القضايا • وهى الطريقة التى تتطلب جمع المعلومات أولا ثم افتراض الحلول ، ثم تجربة الحلول بشكل تخيلى وموازنة حسناتها وسيئاتها بالنسبة لتحقيق الروح اليهودية ثم اقرار الحل الأفضل • ويعتبر المحافظون واجب التمسك بالحقائق التاريخية بديهيا فهى الأولى بانارة الطريق أمام الأمة اليهودية اليوم • فقط عندما يتعارض التراث مع مقتضيات العصر الحديث تعارضا جذريا يجوز اعادة النظر فى التراث بقصد تغييره • فاذا قام اليهود بالاصلاح على هذا المنوال ، أصبح من الممكن تجنبه اقتلاعهم من جذورهم والحفاظ على الطمأنينة النابعة من التقيد بالتراث القديم •

وقالت المدرسة التاريخية الأمريكية أن وحدة اليهود لا يمكن أن تقام على وحدة فى الآراء ووجهة النظر بل يجب أن ترجع الى ما هو أسمى من ذلك فتسمح بالتنوع فى تأويل العقائد والعادات والطقوس اليهودية ، اذ لا بد من وحدة يتمتع بها اليهودى ، تعترف له بحق الاختلاف فى تفهمه لدينه • وهذا يناقض السلطة التقليدية التى تمتع بها الحاخامون خلال العصور • فبدلا من أن يكون الربابنة محط ومنبع القانون الشفوى الذى ادعوا بأن موسى تسلمه من الاله على طور سيناء ، دعت المدرسة المحافظة الى قيام متكلمين يمثلون الشعب اليهودى وينطقون باسم اجماعه • وعليه أصبحت عبارة « كلال يسرائيل » أو « اسرائيل الكاثوليكية » ، أو « اسرائيل المجمعة على هويتها » • هو المفتاح لوجهة النظر المحافظة •

ولذلك دعا المحافظون جميع الفئات اليهودية الى ضرورة التجمع

بدون اعتبار ما يفرقها بعضها عن بعض . وقالوا : « كلنا يهود ، بمعنى اننا نشترك فى انتمائنا الى هذا التراث الضخم والتاريخ الطويل ، وكلنا سواء فى مسئولية الحفاظ على هذا التاريخ والتراث ونقله الى أجيال اليهود القادمة » (٩) . اذن فالاستمرار التاريخى هو العنصر المقوم للأمة اليهودية ، وكانهم يقولون : اننا يهود لاننا كنا ، وما زلنا ، ونريد أن نبقى يهودا ، لا لأن لنا رسالة الى العالم ، لها فحواها التى هى كذا وكذا والتى تحقق الخير والحق والجمال للبشر أجمع فى الدنيا والسعادة فى الآخرة ، كما يقول المسلمون .

وعززت الحوادث ذات الأثر العالمى دعوة المحافظين الى التجمع أشد التعزيز . كانت قضية دمشق سنة ١٨٤٠ ، وقد بلورت الدعوة الى التجمع اليهودى للقيام بمساعدة اليهود فى سوريا ونشلهم مما ادعى أنه محنتهم ، ولا شك أن « قضية دمشق » هى التى جعلت من يهود أمريكا كتلة واحدة واعية اذ لم يكن قبلها أية هيئة تنطق باسم جميع اليهود الأمريكان (١٠) وجاءت بعد ذلك ، أى سنة ١٨٥١ ، قضية المعاهدة الأمريكية السويسرية التى نصت على حق سويسرا بالتفرقة بين اليهود والمسيحيين من مواطنى أمريكا الذين يزورونها أو يتعاملون معها . وتبعتها « قضية مورتارا » الايطالية سنة ١٨٥٨ / ١٨٥٩ ، وهى قضية مولدة كاثوليكية ولدت طفلا يهوديا وعمدته ثم حكمت المحكمة بتسليم الطفل لعائلة كاثوليكية لتربيته على الدين المسيحى غير مبالية بارادة والدى الطفل (١١) .

---

(٩) Moshe Davis, The Emergence of Conservative Judaism : The Historical School in 19th Century America. Philadelphia : Jewish Publication Society, 1963, pp. 3-20.

(١٠) Cyrus Adler and Aaron M. Margalit, With Firmness in The Right : American Diplomatic Action Affecting Jews, 1840 – 1945. New York : American Jewish Committee, 1946, pp. 3-8.

M. Franco, «Damascus Affair», The Jewish Encyclopaedia, 4, p. 42.

(١١) انظر كتاب سالو بارون ويوسف بلاو السابق ذكره وعنوانه : =

وبما أنه كان ليهود انجلترا مجلسا قوميا يضم جميع فئاتهم منذ القرن الثامن عشر وهو المسمى (Board of Deputies of British Jews) وقام اليهود الفرنسيون بتاليف جمعية (Alliance Israélite Universelle) بزعامة أدولف كريميو على أثر « قضية مورتارا » ، كان لا بد لليهود فى أمريكا من الشعور بنقصهم على الصعيد الدولى . فقاموا اثر هذه الحوادث بتاليف أول هيئة أمريكية لجميع اليهود سموها : (The Board of Delegates of American Israélites) واتخذوا فيلادلفيا مركزا لأعمالها سنة ١٨٥٨ (١٢) .

* * *

٤ ـ تطور ملة المحافظين :

استطاع المحافظون التعاون مع الأورثوذكس فقط عندما استهدفوا النيل من الاصلاحيين . وكان مرادهم تعاون جميع الفئات على برنامج عمل ان لم يكن على منهاج عقائدى . ومع هذا فهم لم يكتب لهـــــم النجاح الكامل الا مؤخرا ، وكان أيضا لتدفق الهجرة من شرق أوروبـا أثر معاكس فى الصفوف المسيحية . فقد أخذت الدعوة للتبشير بالدين المسيحى بين اليهود تشتد ، وأخذت اللاسامية تحرك راسها بل وكانت

=

The Jews of the United States, 1790 – 1840 : A Documentary History.

ثم كتاب آدلر ومارجاليت السالف الذكر ، ص ٢٩٩ ـ ٣٢٢ ، ثـم كتاب :

Cecil Roth, A Short History of the Jewish People. London : East and West Library, 1948, p. 380.

ثم مقال : (Cotthard Deutsch) : عن (Mortara Case) فى الموسوعة اليهودية ، جزء ٩ ، صفحة ٣٥ وما يليها .

ثم كتاب : Bertram W. Korn, The American Reaction to the Mortara Case : 1858 – 1859. Cincinnati : American Jewish Archives, 1957.

(١٢) راجع كتاب دافيس السابق ذكره ، صفحة ١٠١ وما يليها ، وصفحة ١٩٧ ـ ٢٠٠

هنالك محاولة لقلب الدستور الامريكي وجعل الدين المسيحى دينا رسميا للدولة ، والواقع أن اليهود اتحدت كلمتهم فى المضمار السياسى فقط عند مواجهتهم لجميع هذه الأخطار المحدقة بهم (١٣) .

ولكن الحدث الأكبر ، كان مؤتمر بيتسبرج عام ١٨٨٥ . فهو الذى فصل الاصلاحيين عن بقية اليهود الى غير رجعة وبالتالى جعل تآلف الفريقين مستحيلا ، اذ لم يبق للمحافظين الا الانضمام الى أحد الفريقين مما يناقض مبدأهم الأساسى . وهم فضلا عن ذلك ، كان لهم اختلافات عميقة وجد مهمة مع كلا الفريقين . لذلك لم يكن لهم بد من أن يؤسسوا حزبا ثالثا .

أخذ هذا الحزب الجديد يدعو الى خمسة مبادىء : اقامة شعائر السبت ، وتنفيذ القوانين المالكية وتقوية التربية اليهودية ومركزة التربية على اللغة العبرية ، ومساعدة استيطان اليهود فى فلسطين (١٤) . وهذه هى الغايات التى اعتبروها عامة يجب على جميع اليهود استهدافها والعمل من أجلها . أما من حيث المبادىء الخاصة بالمحافظين ، فقد دعوا الى جعل الصلاة اليهودية أكثر احتشاما وورعا بحذف الأغانى والخلاعات القديمة ولكنهم التزموا بلبس القبعة والشال ـ اليارمولكا والتاليت ـ ودعوا أيضا الى اختلاط الجنسين فى مقاعد الكنيس ونظموا هذه المقاعد على نظم البنوك العائلية المتبع فى الكنائس المسيحية ، كذلك دعوا الى اضافة اللغة الانجليزية الى العبرية فى الصلوات والأدعية وشجعوا استعمالها ، وطالبوا بان يكون المنشدون أكثر تدريبا وتاهيلا من حيث مقدرتهم الموسيقية . وهم خالفوا الاصلاحيين فى استعمال الأرغن

---

(١٣) Joseph L. Blau Cornerstones of Religious Freedom in America. New York : Harper and Row, 1946, pp. 205-212.

Leo Pfeffer. Church, State and Freedom. Boston : Bercon Press, 1953, pp. 208-210.

(١٤) راجع كتاب موشى دافيس ، السبق ذكره ، صفحة ٢٠٢ وما يليها .

ووافقوهم فى استعمال الكورال والحوا أن لا يكون بين المنشدين أو المغنين سوى اليهود ، اذ أجاز الاصلاحيون توظيف المسيحيين لهذا الغرض بالنظر لمقدرتهم الموسيقية دون النظر الى دينهم .

* * *

٥ ـ موقف اسكندر كوهوت :

قال اسكندر كوهوت حاخام كنيس « احافات حيسيد » فى نيويورك ، موجها كلامه ضد كاوفمان كوهلر ، زعيم الاصلاحيين :

« هل الدين اليهودى مغلق الى الأبد ؟ أم هل هو محتاج وقابل الى النشوء والتطور ؟ انى أجيب على هذا السؤال سلبا وايجابا ، أقول نعم ، لأن الدين للانسان ، وبما أن واجب الانسان أن ينمو دائما ، وجب عليه تغيير الأنظمة الدينية حتى توافقه فى تطوره ، وأجيب لا ، لأن الدين كلمة الاله وكلمة الاله لا تتغير » .

« ان هدانا هو التوراة ، هو قانون موسى ، كما هو مفسر ومشروح ومطبق فى التراث ، وبما أن الرأى الفردى لا يصلح بشكل عرفي لجميع الأمة ، على الأفراد والجماعات أن يعهدوا بالتعليم الدينى لأهله فقط ، أى لأولئك الذين يؤمنون بسلطة التوراة والتراث ويتقبلون بشكل متفتح أن ينظروا الى متطلبات العصر ، النافع منها وغير النافع ، بدون أن يؤدى ذلك الى تدهور أو تمييع الدين اليهودى » .

« فالاصلاح الذى يبغى التقدم بدون موافقة السلطة الموسمية الربانية ، اعوجاج . هو هيكل أو جثة بدون روح أو قلب أو حياة ... نحن نريد الدين اليهودى مليئا ونابضا بالحياة ... ويمكن الدين أن يكون كذلك فقط عندما يصدق بنفسه وتاريخه من جهة ، ويتقبل متفتحا أفكار العصر الحديث فيأخذ بالصالح منها ويدفع بالطالح عندئذ فقط يكون الدين جديرا بالتقدير والاحترام » (١٥) .

---

(١٥) Alexander Kohut, The Ethics of the Fathers
New York : Privately Printed, 1920, pp. 7, 9, 16, 17, 48.

وقال ايضا فى حفلة تدشين (The Jewish Theological Seminary of America) سنة ١٨٨٧ ، عندما عين فيه أستاذا للتلمود : « فى هذا المعهد الجديد تسيطر روح جديدة ويتخلل أعماله ودراساته تحفز جديد . هذه الروح وهذا التحفز هما الدين اليهودى المحافظ ، فالنزعة اليهودية المحافظة هى التى ستخلق فى طلبة المعهد وفى الطبيعة الثنائية للدين اليهودى . فالدين عبادة وقانون ، نظرية وعمل ، جسم وروح . وهو يأمر بضرورة اتباع القانون كما يأمر بدراسة الدين دراسة علمية » (١٦) .

* * *

٦ ـ ايضاح سولومون شاختر :

والى هذه الكلمة ، يجب أن نضيف تعريف سولومون شاختر ، رئيس المعهد الذى خلف كوهوت . قال : « ان كلمة « المحافظ » كلمة عامة درجت على الألسن ، لكنى أعنى بها شيئا خاصا هو مجموعة الكنائس التى اختلفت عن الاورثوذكس من حيث التطبيق والعمل دون أن تخالفهم كثيرا من حيث المبادىء والنظريات ... فالأمريكان اليهود المولودون فى أمريكا يتقبلون جميع الأفكار والمبادىء القديمة . ولكنهم يريدون طرقا وتطبيقات جديدة وحديثة ، ولعل هذه الخاصية ذاتها هى تعريف اليهودية المحافظة على وجه الدقة » (١٧) . وقال شاختر فى مناسبة أخرى : « معيار الدين اليهودى وسنده الأخير هو سنة اليهود الحالية . فالذى يقدسه اليهود هو ما يقدسه الدين والعكس بالعكس .

---

(١٦) كتاب موشى دافيس ، السابق ذكره ، صفحة ٢٣٩ .

(١٧) جاء ذكره فى كتاب :

Cyrus Adler, Lectures, selected Papers, Addresses. Philadelphia : Privately Printed, 1933, p. 251.

Marshall sklare, Conservative Judaism : An American Religious Movement. Glencoe : Free Press 1955, p. 290.

ثم كتاب : United Synagogne of America, Report of the Second Annual Meeting. New York : United Synagogne of America. 1914, p. 26.

أى بعبارة أخرى ، الدين هو « كلال يسرائيل » . أما التوراة فهى ليست فى السماء ، بل على الأرض ، ويرجع تفسيرها الى ضمير « كلال يسرائيل » (١٨) .

* * *

٧ ـ عقيدة الملة المحافظة :

(أ) المبادىء العملية :

أولا : الغاية من ايجاد الملة المحافظة ليست خلق ملة جديدة ولا انفصال عن الملل الأخرى ، بل على العكس ، غايتها التوفيق بين النزعتين : الاصلاحية والأورثوذكس . لذلك يعتبر المحافظون تاسيس الملة المحافظة كملة غلطة لا تقع مسئوليتها على المحافظين المؤسسين ، بل على الاصلاحيين والأورثوذكس الذين لم يستجيبوا لندائهم ولم ينخرطوا فى صفوفهم .

ثانيا : لا بد من اقامة الصلوات والوعظ باللغة التى يفهمها العابدون . فان لم يفهموا العبرية ، يجب أن يسمح لهم باستعمال اللغة التى يفهمونها وأكثر اللغات انتشارا فى أمريكا هى طبعا اللغة الانجليزية .

ثالثا : يجب حذف القراءات المطولة والأناشيد الخلاعة أو المدروشة من الكنيس وجعل الصلاة والطقوس الأخرى كلها على جانب عظيم من الرزانة والهدوء والاحترام مما يتفق مع التعبد .

رابعا : يجب تربية النساء اليهوديات تربية دينية واشراكهن فى أعمال الكنيس وتربية الأولاد الدينية والاجتهاد فى دراسة التاريخ والقوانين والتوراة وكذلك يجب اشراكهن فى الطقوس على قدم المساواة بالرجال .

---

(١٨) Solomon Schechter Studies in Judaism : First Series Philadelphia : Jewish Publication Society, 1938, pp. 19-20.

ثم : Bernard Mandeldum, The Wisdom of Solomon Schechter. New York Burning Bush Press 1936, pp. 102-103.

خامسا : يجب التقيد بالقوانين المأكلية والطقوس السبتية . وذلك حتى ينفذ الدين اليهودى الى البيوت والحياة العائلية . كما أنه يجب على اليهود تشجيع أبنائهم على تعلم العبرية ان لم يكونوا يعرفونها .

(ب) المبـادىء النظرية :

أولا : فقوله « كلال يسرائيل » : أى الأمة اليهودية كشعب يعـــى ذاته ويجمع على تعريف نفســه كثالوث يتالف من الشــعب الاسرائيلى والتوراة والاله ، فهذه المقومات كلها متساوية . اذ لا يتصـــور الشعب الاسرائيلى دون الاله والتوراة ، ولا الاله دون التوراة والشــعب ، ولا التوراة دون الشعب والاله . فالأقانيم الثلاثة تساوى فى مجموعهـا وحدة عضوية هى الأمة الاسرائيلية أو « كلال يسرائيل » . فبينما أظهر الاصلاحيون الشعب على التوراة وعلى الاله ، وأظهر الأورثوذكس الله والتوراة على الشعب ، على المحافظين أن يساووا ويعادلوا ويجمعوا بين المقومات الثلاثة . ويترتب على هذا المبدأ الادانة اللازمة للاصلاحيين لابعادهم تطلع اليهود الى العودة لصهيون .

فالنواحى القومية والسياسية فى التاريخ اليهودى أصــبحت من مقومات هذا التاريخ ، فالتوراة والتلمود وكل الأدب الدينى ، يتكلم عن مأساة اسرائيل فى المنفى ويأس لبعدهم عن وطنهم الأصلى فى الأرض المقدسة . وأنه لمن عدم الصدق للتراث والتاريخ اليهودى أن يحـــذف أمل اليهود باحراز وطن جغرافى مادى وأن يحرم اليهود فى شـــتى أنحاء العالم من المكاسب الروحية الجليلة التى تترتب عن احرازهـــم هذا الوطن .

ثانيا : مقولة اليهودية التاريخية الوصفية : خلافا للأورثوذكس الذين يتقاعسون عن ادخال أية تعديلات على القانون اليهودى ، وخـــلافا للاصلاحيين الذين يرفضون سلطة القانون ولزومه ، يعتقد المحافظـون أن القانون يجب أن يفحص من جديد على ضوء حاجات الشـــعب اليهودى الحاضرة ، وأنه ، ان لزمه تعديل ، أن يعدل حسب نقـض وهى الطريقة التى عدل وتطور فيها من قبل فى الأزمنة القديمة [illegible]

طريقة « الحلقا » • فلا بد إذن من دراسة التاريخ اليهودى دراسة علمية واستخراج المعانى والقيم التى حققها الأسلاف عن طريق ابرام أو تعديل القوانين التى ابرموها أو عدلوها كى يعاد تجسيم هذه المعانى والقيم فى قوانين جديدة تتلاءم مع روح العصر فاستخراج المعانى والقيم من التاريخ هو المذهب التاريخى ، وتجسيدها فى قوانين جديدة تتجاوب مع الأوضاع الراهنة ووقائع العصر الحديث هو الوضعية •

ثالثا : مقولة الوحدة فى التنوع : أى جمع اليهود ضمن اطار واحد والابقاء على تنوع فكرهم الدينى وحاجات مجتمعاتهم • تقول مقدمة دستور اتحاد كنائس المحافظين فى أمريكا « ان على الكنائس أو الجمعيات الأعضاء فى هذا الاتحاد أن يعطوا ولاءهم للتوراة كما تكونت وجمعت ودونت فى التاريخ • وعليهم أن يعملوا على اقامة شعائر السبت والقوانين المأكلية ، وعليهم أن يحافظوا على الاشارة الدائمة فى جميع الطقوس الى تاريخ اسرائيل الماضى والى عودتهم لوطنهم واعادة بناء ملكهم فى صهيون ••• ومن أهداف اتحاد كنائس المحافظين فى امريكا لم وجمع جميع فئات اليهود الموالية لليهودية التقليدية والتى تنظر بعين العطف والرضا عن الأهداف السالفة الذكر ، بدون أن يعنى ذلك أن الاتحاد يوافق على ما تقره هذه الكنائس والمجتمعات من تعديلات للقانون اليهودى فى هيئاتها الخاصة » (١٩) •

* * *

٨ ـ نظم الملة المحافظة :

تتألف الملة المحافظة من حوالى مليون ونصف مليون عضو فى أمريكا ومن نصف مليون عضو آخر يعيشون فى بقاع الأرض • وبالنظر الى أن الملة المحافظة تقوم على البحث العلمى لتاريخ اسرائيل ، كان أول الأنظمة التى أسستها هو معهد لاهوت يهودى • وعين لهذا المعهد هدف رئيسى هو توجيه فكرة الملة المحافظة عن طريق البحث العلمى فى التاريخ • وفى الواقع ، يقوم المعهد اللاهوتى اليهودى فى نيويورك

---

(١٩) انظر كتاب : بنيامين افرون ، السالفة الذكر ، صفحة ٥٧ •

بتخريج جميع حاخامى الملة . ويقوم فرع المعلمين التابع للمعهد بتخريج جميع المعلمين فى المدارس الملية المحافظة ، كما يقوم فرع المنشـدين بتخريج المنشدين العاملين (حزانيم) فى الكنائس المحافظة ، ويقـوم المعهد أيضا بانشاء وادارة صفوف ليلية فى شتى البلاد لتثقيف العـوام واعلامهم . لهذا المعهد أكبر مكتبة يهودية فى العالم تضم ربـع مليون كتاب فى الدين اليهودى وأكثر من عشرة آلاف مخطوط ، وله أيضا متحفا يضم عددا كبيرا من التحف الدينية . وفيه ١٦٠٠ طالب للحاخامية .

وللملة المحافظة مجلس ربابنة يسمى « المجلس الربانى لأمريكا » يضم خريجى المعهد السابق الذكر وغيرهم ممن تخرجوا من معاهد ربابنة أخرى ثم انخرطوا فى سلك المحافظين . وهو يجتمع على غير موعـد على الأقل مرة فى السنة ليبحث شئون الملة ويجيز ما وصل اليه رجالات المعهد اللاهوتى من دراسات وموافقتها لمتطلبات المجتمعـات والكنائس المحافظة .

وللملة المحافظة مجلس اتحـاد كنـائس المحافظين فى أمريكا ، ووظيفته أن يوحد كلمة المحافظين ويتثبت مما يجمعون عليه ثم التعبير عن « الاجماع اليهودى » أو « الأمة اليهودية » فى جميع الأوسـاط والمستويات . تقـوم الملة المحافظـة ، كالاصـلاحيين ، على نظـام الـ (Congregationalism) أى أن الكنائس ومجتمعاتها مستقلة عـن بعضها البعض ولكل واحدة منها الكلمة الفصل فى تحقيق ما يقره مجلس اتحاد الكنائس أو عدمه .

وقد أسست الملة المحافظة مجلسا عالميا لكنائس المحافظة سنة ١٩٥٧ ضم الكنائس المحافظة فى جميع أنحاء العالم ، الا أن اليد العليا فى جهازه التنفيذى والكلمة العليا فى مؤتمراته لرجالات الكنائس الأمريكية .

وتمتاز الملة المحافظة بتمسكها بأوامر التـوراة والتلمود الطقسية (Mitzvot Maasiot) التى تنبذها الملة الاصلاحية ، وباستعمال اللغة الانجليزية بالاضافة الى العبرية فى الصلاة وتسمح باختلاط الجنسين فى

الكنيس وهذا ما تنبذه الملة الأورثوذكسية ، وتتفق مع الملة الأورثوذكسية بانها تجبر أعضاءها على لبس الـ (Yarmulke) (القبعة) وال (Tlait) (الشال) أثناء الصلاة ، وكانت الملة المحافظة الأولى فى ادخال البنات فى صفوف التعليم اللاهوتى والدينى وأسست لهن طقس (Bat Mitzvah) أسوة بطقس (Bar mizvah) الذى يعقد للصبيان عندما يتخرجون من المدرسة الملية بعد اتمام قراءتهم للتوراة وتلقيهم دروسا فى التـــاريخ اليهودى ٠٠



الفصل السابع

الصـــهيونية

أو حركة الانتقال من القومية الدينية الى الدين القومى

١ ـ أصول الصهيونية فى الدين اليهودى (١) :

فى المنفى فى بابل بعد سنة ٥٨٦ ق٠م ، تحول الدين العبرى الى الدين اليهودى ٠ فى الدين العبرى كان الاله اله شعبه المختار فقط يدفعه ويؤازره ويحركه ويعمل له من أجل استيطانه فلسطين والمحافظة على جنسيته وعنصره ، لكنه لم يكن يتدخل فى كثير أو قليل فى حيـــاة الشعوب الأخرى بعد أن تم الاستيطان الأول وقيام مملكة داوود ٠ أما بعد المنفى فقد أصبح الاله يتدخل لا لحماية شعبه فحسب بل لاذلال واخضاع شعوب العالم لشعبه المختار ولاستمرار استعبادهم له على ممر العصور ، ولذلك ، بعد أن كان أولا اله شعبه وقلما كان اله الآخرين ، أصـــبح بعد المنفى اله الآخرين ، اله البشر أجمع لا لحبه لهم ولرعايته أو هديه لهم ، بل لاخضاعهم لسلطة شعبه وتسهيل استعبادهم واستعمارهم من قبل شعبه الحبيب ٠ وهـــذا هـــو حصيلة حركة الاله من القومية الى العالمية ٠

وغير المنفى أيضا مفهوم التعبد من اقامة الطقوس القربانية الى دراسة نصوص الوحى أى التوراة والتدين بتلاوتها المستمرة واقـــامة

---

(١) راجع كتاب المؤلف بنفس هذا العنوان ، نشر معهد البحوث والدراسات العربية لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٩ ٠

القانون الذى جاءت به ، وحطم المنفى انقسام الأمة اليهودية القديم الى طبقات ثلاث ، الكهنة واللاويين والعامة ، لا تجوز الحركة بينهما الا نزولا من العليا الى السفلى عند نقض الفرد لمقتضيات طبقته ، اذ جعل من الأمة كلها طبقة واحدة ، كلها فى القداسة سواء وان قام فيها كهنة وقفوا حياتهم على دراسة التوراة وحفظها .

الا أن أهم ما أحدثه المنفى من تغيير فى الدين العبرى ، وهو ادخاله عليه فكرة المسيح ، أو المتوج ملكا على اسرائيل بمسحه بالزيت المقدس ، وهى فكرة انتظار من يقوم بقيادة اليهود من منفاهم الى دولتهم يهودا بعمل معجز ، فيعيد لهم مملكتهم الداوودية ويحقق لهم استعبادهم واستعمارهم للبشر وسيادتهم على الدنيا كلها . وقد رأى المنفيون فى شخص كورش الفارسى مسيحا أرسله الاله لينقذ شعبه المهزوم ويحقق له أحلامه الانتقامية والاستعمارية .

وقامت لليهود اثر عودتهم مملكة كانت على جانب عظيم من الضعف فى عالم الامبراطوريات الدولية ، وهزمت هذه المملكة على يد الاغريق ثم على يد الرومان .

ولكن فى كل حين ، لا سيما عندما كانت تجرى الحوادث على عكس ما يشتهون ، تطلع اليهود الى المسيح المُنتظر ورأوا فيه بلسما لجراحهم . فبعد أن شتتهم الرومان سنة ٧٠ للميلاد فى أنحاء الجمهورية الرومانية ، تصاعدت أصوات اليهود الى السماء من جديد بأن يرسل الاله لهم مسيحا يخلصهم ويعيد لهم مجدهم التليد . بل وأصبح هذا الدعاء والتطلع النفسانى الذى ينطوى عليه عنصرا مكونا للدين اليهودى . ففى أقدس أوقات السنة فى يوم التكفير أو « يوم كيبور » ، يقول المصلون فى آخر ما يتوجهون به من دعاء « السنة القادمة فى أورشليم » وبهذا التحم الدين اليهودى بالقومية التحاما أصبح يتعذر بعده فصل السياسة عن الدين . بل دخلت السياسة فى الدين بشكل أصبحت هو فحواه ، وعليه أصبح الدين قومية دينية .

وهنالك طبعا من أول هذه النظرية بكاملها كتطلع لمسيح يخلص البشر أجمع من هوة المادة والسلطة والجنس والشر والزمنية ، وتفهموا المملكة التى سيعيد المسيح بناءها كمملكة روحانية يشترك فيها الناس جميعا على حد سواء . أولئك هم الأسينيون اليهود الذين انســحبوا من الأمة اليهودية وتعبدوا فى الصومعات فى تخوم الصحراء ، فمنهم من دخل فى الحنيفية العربية ومنهـم من دخلـوا فى الدين المسيحى وعرفوا بعد ذلك بالغنوصيين .

ومع انتشار الدين المسيحى ، وهو دين تفهم المملكة كنظام عالمى روحانى لا علاقة له بفلسطين الجغرافية سوى القيمة التاريخية بأنهـا النقطة التى انطلق منها ، ازداد تشبث اليهود بمادية وجغرافية وسياسية المملكة المنتظرة ، فسماوية الأولى تعادلت مع أرضية الثانية ، وغالى اليهود ، كعادتهم فى كل شىء ، فى قيمة المملكة الأرضية ، بل فى أرض المملكة المادية ، فالذين كانوا يستطيعون سبيلا ، كانوا يوصون بوضع حفنة من تراب فلسطين تحت رأسهم عند دفنهم بعد موتهم . وقام بينهم بين الحين والحين « مسيحيون دجالون » استغلوا سذاجة العامة اليهودية ليحققوا مكاسب شخصية لهم ، وتفجرت عبقرية يهودا هاليفى ، الشاعر الفيلسوف (١٠٨٠ ــ ١١٤٥) عن أسطورة « أن هواء فلسطين مقدس وهذا هو سبب قيام الأنبياء فى تلك البقعة من الأرض . فكما أن أرضا معينة تنتج نبيذا معينا ، تنتج تربة وهواء فلسطين النبوة » !! (٢) .

وبناء على هذا التطلع لمقدم المسيح ، اعتبر اليهود أنفسهم أنى وجدوا أنهم فى اقامة مؤقتة ، الى أن يحين يوم عودتهم الى وطنهم (٣) .

* * *

(٢) Yehudah Halevi, Book of Kuzari, tr. by Hartwig Hisohfeld. New York : Pardes Publishing House, 1946 II, 13, p. 28.

(٣) كذلك رأى موردخاى مانويل نوح (١٧٨٥ ــ ١٨٥١) أن الوطن القومى اليهودى الذى أراد انشاءه فى جزيرة جراند ايلاند فى

٢ ـ اثر التحرير فى الدين اليهودى وفى القومية الدينية اليهودية :

أحدث التحرير أثرا عميقا فى نفوس اليهود ، لدرجة أنه زعزع قوميتهم الدينية من أساسها ، وكان لا بد للقومية الدينية من التعارض مع القوميات الاوروبية التى قام التحرير على هدف انصهار اليهود فيها واعتبارهم مواطنين كالمسيحيين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات . وكان من السهل أن يقدم اليهود على الحقوق يستمتعون بها ، ولكنه من الصعب أن يأخذوا بواجبات المواطنية من ولاء واخلاص وعمل للدولة القومية بنفس الاقدام والحماس كالمواطنين المسيحيين . فكانت المشكلة ، وكان لا بد لها من أن تكون طالما أن الدين اليهودى نفسه قومية دينية لا دين فحسب .

وبلغت المشكلة درجة التأزم عندما سأل نابليون بونابرت : « أولئك اليهود الذين ولدوا فى فرنسا وعوملوا كأبنائها ، هل يرون فرنسا كبلدهم الحقيقى ومسقط رأسهم ويشعرون بواجبهم تجاهها ، بحمايتها والمحافظة على قوانينها وبالطاعة والولاء لدستورها المدنى » ؟ (٤)

=

نهر نياجارا تحت اسم أراراط . قال : « انى اذ أدعو اليهود ليجتمعوا تحت رعاية الدستور الأمريكى والقوانين والأنظمة الطيبة الخاصة بهذا البلد أعلن أن الملجأ الذى أنوى انشاءه ملجأ مؤقت . فاليهود لن يتخلوا أبدا عن استرجاع وطنهم التقليدى . ولن يتركوا الأمل فى العودة اليه ، بل ويجب عليهم أن لا يتخلوا وأن لا يتركوا »

انظر : Isaac Goldberg : Major Noah : American – Jewish Pioneer. New York : Kopf, 1937, p. 194. Joseph L. Blau and Salo W. Baron, The Jews of the United States, 1790 – 1840 : A Documentary History. New York : Columbia University Press, 1963, III, pp. 894–905.

(٤) Howard M. Sacher, The Course of Modern Jewish History. Cleveland World, 1958, pp. 60-65. Gunther Plaut, The Rise of Reform Judaism. New York : World Union for Progressive Judaism, Ltd., 1963, p. 71.

ولو حذفت كلمة « فرنسا » من السؤال ووضع محلها « المانيا » و « هولندا » و « انجلترا » و « بلجيكا » و «ايطاليا » وغيرها من بلدان أوروبا لانطبق السؤال ذاته على يهود جميع هذه البلاد ، ولكن سؤالا لا بد لليهود الاوروبيين من مواجهته ·

وكان جواب معظم اليهود فى غرب أوروبا لهذا السؤال ايجابيا ، اذ غير التنوير والتحرير مفهوم الدين عندهم من كونه قومية دينية الى كونه دين شخصى كالملل البروتستانتية المختلفة لا يتعارض مع الولاء للقوميات والدول الاوروبية · وقال لودفيج فيليبسون فى هذا الصدد : « سبق أن حاول اليهود أن يخلقوا من أنفسهم أمة ودولة مستقلة · أما الآن ، فهدفهم هو مشاركة الامم الاخرى فى توصلها الى أرقى مراحل التطور الاجتماعى · فواجب العصر الجديد هو خلق مجتمع بشرى يضم جميع شعوب العالم بشكل عضوى · وكذلك ، ليس من واجب اليهود جعل أنفسهم أمة ومن دولتهم كيانا سياسيا مستقلا ، انما واجبهم الحصول على قبولهم فى الامم كأعضاء فيها عاملين فى مجتمعاتها على قدم المساواة مع أبناء تلك المجتمعات » (٥) ·

لقد اقتنع يهود أوروبا بأن دينهم يطالبهم بأن يجعلوا من أنفسهم لا قومية دينية بل جمعية دينية يشتركون فيها للتعبد والتدين الشخصى ، وأن اشتراكهم فى مثل هذه الجمعيات الدينية لا يتعارض مع اشتراكهم فى المجتمع القومى والسياسى فى كل دولة من دول أوروبا · وقال داوود ماركس ، حاخام كنيس لندن الغربية سنة ١٨٤٥ مؤكدا عدم التعارض بين الولاءين : « نعم نحن نتطلع الى عودتنا الى يهودا ، ولكن فقط فى ذلك الوقت الذى يتغير فيه العالم كله · عندما تنصهر الامم فى بوتقة سياسية واحدة ، وينقلب نظامها الحاضر رأسا على عقب ·

---

(٥) راجع كتاب بلاوت السابق ذكره ، صفحة ١٣٦ ، حيث ينقل كلمات فيليبسون من مقال (What is Judaism?) من مجلة (Allgemeine Judenthums) Zeitung des, I, p. 2.

فالى أن يحدث هذا ، ولا بد لمثل هذا الحدث من أن يتصف بما يتصف به قيام الساعة ، يعلنها اليهود بصوت واحد بأن لا رغبة لنا فى أى بلد سوى مسقط رأسنا . فالى البلد الذى ولدنا فيه نولى ولاءنا ويتوقـد شعورنا الوطنى وحماسنا القومى اللذان لا يقلان اخلاصا وحرارة عن اخواننا المواطنين الانجليز غير اليهود » (٦) .

وقد مر بنا كيف عالج جايجر ، مفكر الاصلاحيين الأكبر ، هذه المشكلة (٧) .

وقد تبع هذا التعديل فى الولاء اليهودى تعديل لاهوتى . اذ كان اليهود يؤمنون بأن تشتتهم فى العالم كان جزاء على ما ارتكبوه من اجرام ، وأنه لا بد منته عندما يقتنع الاله بتكفيرهم عن خطاياهم . أما الآن ، فهم ظنوا أن تشتيتهم كان أمرا لا بد منه ليتسنى لهم تحقيق رسالتهم فى جميع الأمم . فهو خير لا شر . ورسالتهم ليست الا نشر التعاليم التوحيدية والأخلاقية فى العالم ، وكذلك ، رأوا ضرورة اعادة تأويل نظرية المسيح وذلك بتجريدها من معناها السياسى وتأكيد المعانى الروحية فيها كما فعل الأسينيون والمسيحيون من قبل ، يقول فيليبسون فى هذا الخصوص : « نحن لا نفهم وعود الله بالمعنى الضيق المشبع بالخاصية لاسرائيل ، فالمسيح لن يبعث ليخلص اسرائيل فقط ويؤتيها الحكم على بقية البشر ، كلا ، نحن نركز آمالنا على ما قاله الأنبياء بأن المسيح سيضطلع بواجب أكبر وأعظم وأجل بكثير من هذا ، الا وهو واجب تخليص

---

(٦) المرجع السابق ، ص ١٣٧ حيث ينقل كلمات ماركس من مجلة :
Jewish Chronicle, 1845, 12, p. 27.

(٧) **Abraham Geiger, Das Judenthum und seine Gerchichte. Breslau : Schletherschen Buchhandling, 1865 – 1871, p. 9.**

البشر أجمع وتوحيدهم فى ملك واحد قائم على عبادة الله الحق » (٨) .
وفى نفس الصدد ، قال جايجر : « المسيح الذى سيقود الاسرائيليين الى فلسطين ليس منتظرا ولا مرغوبا فيه من قبلنا . نحن لا نعرف وطنا غير الوطن الذى ننتمى اليه من حيث مولدنا ومواطنيتنا » وجاء هذا القول فى وثيقة « برنامج وتصريح لليهود الالمان ولاصدقاء الاصلاح الدينى » الذى أعلن فى فرانكفورت سنة ١٨٤٣ كمانيفستو حركة الاصلاح اليهودية ، وزاد مؤتمر فرانكفورت للربابنة سنة ١٨٤٥ نفس المبدأ ايضاحا وتاكيدا عندما قرر : « يجب أن تعطى فكرة انتظار المسيح مقاما بينا فى الصلوات اليهودية ، ولكن يجب أن تحذف كل اشارة الى أرض الأجداد والى اعادة بناء المملكة اليهودية فيها » (٩) .

وكذلك أيضا قال شمشون رفائيل هرش ، زعيم الأورثوذكس ، اذ نقض فكرة القومية اليهودية وأول الدولة اليهودية القديمة تأويلا غير سياسى ففى رأيه ، أن الدولة والأرض لم تكن سوى المادة التى أدى اليهود بواسطتها رسالتهم الروحية ، « ان الأرض والدنيا لم تكونا فى يوم من الأيام عروة اتحاد اسرائيل » (١٠) .

وقد حرص هرش كل الحرص على اجتناب كل ما من شانه مناقضة مساهمة اليهود فى القوميات الأوروبية ، وهو القائل : « ان واجبنا هو أن نشترك الى أقصى حد ممكن مع اخواننا المواطنين فى كل دولة فى بناء الدولة التى تتبنانا ، وفى خدمتها والولاء لها . واجبنا أن لا ندع

---

(٨) Samuel Holdhein. Neue Sammlung Judischer. Predigten Berlin, 1852, 55, 3 Volumes, I, p. 156.
Moses Guttman. Literaturblatt des Orients, II, 9. 1. 1844 p. 22
نقل هذا الكلام من مصدر بلاوت السالف الذكر ، صفحة ١٤٣ .
(٩) راجع كتاب فيليبسون السابق ذكره ، صفحة ١٦٨ ، ٢٥٥ ، ٤٩٢ .
(١٠) راجع كتاب هرش السابق ذكره ، التحرير السادس عشر ، صفحة ١٦١ .

أى مجال لانفصالنا فى أية صغيرة عن الدولة التى ننتمى اليها » (١١) . وفسر هرش رسالة اسرائيل على انها رسالة روحية عالمية مؤكدا أن هذه كانت رسالة الجالوت أو المنفى وأن المنفى لا يزال وسيبقى قائما حتى القيامة .

* * *

٣ ـ نشأة الفكرة الصهيونية :

يتبين مما تقدم أن مفكرى اليهود من اصلاحيين وأورثوذكس ضحوا بفكرة القومية الدينية فى سبيل احراز مكاسب التحرير وفى سبيل انصهارهم فى القوميات الغربية وتقبل هذه القوميات لهم . الا أن هذا الحل ليس وحيدا للمشكلة . فالصهيونية ، وان كانت جذورها تمتد الى العصر البطريكى فى أوائل الألف الثانى قبل الميلاد (أى عصر ابراهيم) ، هى ولا شك محاولة معاصرة لايجاد حل للمشكلة اليهودية كما تطورت عبر التاريخ الاوروبى الذى استعرضناه فى هذا الكتاب . فالحل الصهيونى باختصار هو أن يكون لليهود مجتمعهم ، ويكون لهم حقوقهم وواجباتهم ضمن دولة يهودية مستقلة . فيكون لهم الدين والقومية والحرية والاستقلال مجتمعين .

ولكى نفهم نشأة هذه الفكرة ، لا بد لنا من ربطها بعجلة التاريخ الاوروبى ، اذ لا ينكر أنها جاءت كرد فعل فى ذلك التاريخ لما كان يتحرك فيه من قوى وتيارات (١٢) . علينا أن نذكر أن تحرير اليهود

---

(١١) المرجع ذاته ـ انظر أيضا :

S.M. Dubnow, Natienalism and History : Essays on old and New Judaism, ed. Koppel S. Pinson. Philadelphia ; Jewish Publication Society 1958.

(١٢) Arthur Hertzberg, ed., The Zionest Idea : A Historical Analysis and Reader. New York and Philadelphia : Meridian Books and Jewish Publication Society, 1960, p. 23.

وتمتعهم بكافة الحقوق التى جاءت بها حركة التنوير الى الأمم الأوروبية ، لم يتحقق بالفعل ، أو على الأقل لم يتحقق كله . ففى نفس الوقت الذى كان يقوم به المفكر اليهودى باعادة بناء هيكله حتى يتسنى له التعايش مع التنوير والتحرير كان العالم الأوروبى ينسحب من التنوير وينقض مفترضاته شيئا فشيئا . فالعقلانية ابتدأت تتحول فى أوروبا الى لا عقلانية ، وحرية الرأى الى تسلط فكرى جديد ، ومدنية العصر الحديث الى نوع مجدد من مدنية القرون الوسطى ، وقد بدا هذا التحول واضحا فى مؤتمر فيينا سنة ١٨١٥ ، ولا يزال يسرى الى يومنا هذا ، وتبع هذا التحول الفكرى تحول سياسى أدى الى اضطهاد اليهود من جديد والى قيام نظريات قومية متطرفة مثل نظرية « الدم والأرض » التى لا تسمح طبيعتها بقبول اليهود . وهذه اللاعقلانية والقومية العنصرية اجتاحت جميع الدول الأوروبية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

بل أكثر من هذا ، نشأت هذه القوميات المتطرفة فى أواخر القرن الثامن عشر فى قطاعين أوروبيين ، هما البلقان وبولندا ، وهما القطاعان اللذان شاهدا تنازع أكثر من قومية واحدة فيهما وتفسخ السكان بين الواحدة والأخرى . وفى الواقع ، نشأ يهود الكالاى (١٧٩٨ ـ ١٨٧٨) أول الصهيونيين بالرغم من أنه غير معروف نسبيا ، فى صربيا فى البلقان حيث شهد النزاع العثمانى ـ اليونانى ـ الصربى . ومع أنه كان أورثوذكسيا يؤمن بمعجزية الخلاص ، رأى أن لا مانع من التحضير لهذه المعجزة بالاستيطان فى فلسطين من قبل اليهود (١٣) . وعاصر هذا الصهيونى المتقدم زفى هرش كاليشر (١٧٩٥ ـ ١٨٧٤) المولود فى بوزن فى بولندا حيث شهد صراع الروس والألمان والبولنديين ، وهو أيضا القائل بضرورة تعاون الحكومات

---

(١٣) المرجع السابق ، صفحة ٢١ و ١٠٧ . راجع أيضا فصل : (Jewish Ethnicism) فى كتاب : (Salo W. Baron) وعنوانه: Modern Nationalism and Religion. New York : Harper, 1947, pp. 213-249.

الأوروبية فى سبيل اعداد المسرح لتحقيق المعجزة الالهية ، معجزة عودة اليهود وقيام دولة داوود فى فلسطين (١٤) • وقد ألف كتابا أسماه « داريشات صهيون » (سعيا وراء صهيون) سنة ١٨٦٢ ، حاول فيه اقناع الأورثوذكس المتعصبين لمعجزية الخلاص بضرورة السعى الانسانى والسياسى والتمهيد المادى لتحقيق المعجزة • وكأنه يقول بأن المعجزة ليست معجزة وأن كل ما هو مطلوب هو الدأب على الهجرة والتنظيم (١٥) • وكاليشر هو أول من دعا من العصريين الى الاستعمار الزراعى فى أرض فلسطين وأسس فى فلسطين تحقيقا لهذه الفكرة مستعمرة نيتر شرقى يافا سنة ١٨٧٠ •

يبدو تأثر كاليشر بالقوميات المتطرفة ــ بل المقاتلة ــ الأوروبية واضحا فى قوله : « لم يضحى أهل ايطاليا وغيرها من البلاد فى سبيل وطنهم بينما نقعد نحن اليهود عن اية تضحية ؟ هل نحن دون أولئك الناس الذين يضحون بكل غال ونفيس ، بالمال والحياة ، فى سبيل وطنهم وقومهم؟ ألا يجدر بنا الاعتبار بمثل الطليان والبولنديين والمجريين الذى ضحوا بممتلكاتهم ونفوسهم فى سبيل تحقيق استقلالهم القومى ؟ بينما نحن ، أبناء اسرائيل ، نتمتع بملكية أقدس الأراضى ، ولا حراك لنا ولا حيلة » ؟ (١٦) •

وقام بعده بيريتز سمولينسكين (١٨٤٢ ــ ١٨٨٥) يدعو اليهود الى التنازل عن مكاسب التحرير فى روسيا عندما شاهد الاضطهادات الشنيعة التى تعرض لها اليهود فى الثمانينات من القرن الماضى ، بينما كان قبل ذلك يدعو الى تفهم القومية اليهودية كحركة روحية بحتة ، لا سياسة

---

(١٤) راجع كتاب : (The Zionest Idea) صفحة ١٠٩ وما يليها •

(١٥) المصدر السابق ، صفحة ١١١ ، ١١٣ •

(١٦) Israel Cohen, The Zionest Movement. New York : Zionest Organization of America. 1946, p. 54.

ولا أرض ولا مادة ولا عـودة لفلسـطين فيها (١٧) · أما بعد الثورات الاضطهادية فى بلده ، أخذ يردد : « لن تقبل اليهود أية أرض فى هذا الكون سوى فلسطين أرض اسرائيل المقدسة · فهنالك فقط يمكن لليهود تحقيق السلام والطمأنينة » (١٨) ·

ويشهد على نفس التطور فى عقلية يهود أوروبا تاريخ حيـــاة الزعيم الصهيونى ليو بينسكر (١٨١١ ـ ١٨٩١) لقد أعلنها بينسكر مرارا أنه مع التنوير والتحرير ، وكان قد تعلم الطب وربى تربية روســية محضة · وكان أبلى بلاء بطوليا فى حرب القرم فى خدمة الجيش الروسى حتى أنه حصل على ميدالية شرف من القيصر · وكان يدعـو الى ترويس اليهود وانصهارهم فى جسم الأمة الروسية بوضوح وتأكيد · وأسس سنة ١٨٦٣ جمعية نشر الثقافة بين يهود روسيا بقصد تسهيل ترويسهم حتى ثورة ١٨٧١ التى اضـطهد فيهـا الروس اليهود وقتلوهم ، لم تتزحزح عقيدته بأن الانصهار هو خير طريق لسعادة اليهود · أما ثورات ١٨٨١ فانها ، بالنظر الى اشتراك الشـعب الروسى برمتـه فى تقتيل اليهود وبصورة خاصة بالنظر الى اشتراك الطبقة المثقفة والحاكمة فى أعمـال الاضطهاد ، غير بينسكر وجهته ·· تنحى عن عضوية جمعية نشر الثقافة وراح يبحث عن حل آخر لمشكلة بنى جنسه ، ولم يكن بينسكر يدعو فى ذلك الوقت الى الاستيطان فى فلسطين اذ اعتبر أن أية أرض أخـرى مقبولة ، وعن فكر بينسكر هـذا نشـأت جمعية « حبة صهيون » التى آزرها الغنى روتشيلد والتى أخذت تشترى الأراضى فى فلسطين لتوطين اليهود فيها (١٩) ·

---

(١٧) راجع كتاب : (The Zionest Idea) صفحة ١٤٥ و ١٥١ ـ ١٥٢ ·

(١٨) المصدر السابق · صفحة ١٥٢ ·

(١٩) المصدر السابق · صفحة ١٧٩ ـ ١٨١ · وفيـه نص الوثيقة (Auto Enancipation) التى خطها بينسكر · راجع أيضا كتاب كوهين السالف الذكر (The Zionest Movement) صفحة ٦٥ وما يليها ·

والواقع أن اللاسامية الأوروبية الناتجة عن الرومانطيقية المغالية كانت تتقدم أكثر من الفكر اليهودى القائل بانصهار اليهود فى القوميات الأوروبية والمعاصرة . وسارع فى تقـدم اللاسـامية أن اليهود جنـــوا ثمرات هائلة وبسرعة مذهلة من تحريرهم فما كادوا يتحررون ويقبلون فى الأوساط التجارية والمدنية والسياسية الا وبزغوا فى كل حقل وجمعوا السلطة والحكم والمال والجـــاه فى أسرع من البـرق . فبينمـا تفشت الانفرادية بين المسيحيين ، دخل اليهود المعترك الاجتماعى والسياسى والميدان الاقتصادى كحزب واحد له قوميته المختلفة وبوعى جماعى لم يتوفر لأية فئة أخرى ، وكان من الطبيعى أن يذهل المسيحيون لهـــذه المكاسب السريعة وأن يتنكروا لليهود ويناصبوهم العداء . وبما أن الوعى العمالى كان قد بدأ يتاهب للثورات الاشتراكية والصناعية ، كان من السهل أن يتخذ هدفا له الثراء الفاحش الذى جناه اليهود فى التجارة والصناعة .

هذا سبب لانتشار اللاسامية . والسبب الثانى هو أن أحـــلام القرن الثامن عشر الانسـانية أخـــذت تتحطم وتتبدد . فبعد الثـــورة الفرنسية ، خاب أمل الأوروبيين بتحقيق الجنة على الأرض على أسس التنوير ، فانسحبوا من العالمية الى القومية الضيقة ، ومن الديموقراطية الى الدكتاتورية ، ومن رؤى المستقبل الى الحلم بالمـاضى وتمجيده ، وأخذت نظريات القومية تأتى تباعا وكلها مغالية فى رومانطقيتها . ولم يكد يعطى هيجل نظريته بأن « الدول هى فكرة الروح المطلق عندما تظهـــر متســـمة فى الارادة الانســـانية والحـــرية » (٢٠) . حتى راح هاينرميش فون ترايتشكة يقول « ان نشوء وتطـــور الدولة ليس

---

(٢٠) George W. F. Hegel, Philosophy of History, tr. by J. Sibrte New York : Willy Brook Co., 1944, p. 47.

الا الشكل الخارجى الذى تلبسه روح الشعب على نفسها » (٢١) .
والفرق بين الموقفين هو الفرق بين النظرية القومية المبنية على العقل
والنظرية القومية المبنية على عبادة الدولة .

وفى النمسا حيث لا يمكن قيام القومية على وحدة الجنس ، قال
كارل رينر ان القومية هى وحدة المصير والثقافة (٢٢) . وفى فرنسا ،
عرف رينسان القومية كاستفتاء يقوم به الشعب يوميا ولكنها ليست
الا استفتاء ، اى أن القرار الجماعى قرار عرفى . وقال فوستل دى كولانج
« القومية الحقة ليست حب الأرض ، بل حب الماضى وتمجيد الأجيال
السالفة » (٢٣) وعلى هذا التطلع الى الوراء بنى موريس باريس
نظريته فى القومية الأحدية (Integral Nationalism) وقال : « نحن
ثمرة كيان جماعى ينطق فينا ، لندع تراث الأسلاف يستمر فينا ولنجعل
من أنفسنا أبناء نشيطين وصادقين ملتحمين مع أجدادنا كيما نشكل
قوما واحدا مدى العصور » (٢٤) . ففى مثل هذه النظريات القومية
المتطرفة لا ثمة محل لليهود . وكيف لهم أن يجدوا لأنفسهم مكانا فى
تاريخ قديم ومتوسط لم يدخلوه ولم يتأثروا به أبدا ؟

وفى سنة ١٨٩٤ جاءت قضية الفريد دريفوس ، الضابط فى الجيش
الفرنسى ، التى أحدثت تغيرا جذريا فى نفس الشاب تيودور هرتسل

---

(٢١) Heinrich von Treitschke. Politfcs, tr. by Blanche Dugdale, et al. London : Constable, 1916, I, p. 12.

(٢٢) راجع مقال : Salo W. Baron, (The Modern Age) فى كتاب : Leo W. Schwarz, ed. Great Ages and Ideas of the Jewish People. New York : Modern Library, 1956, p. 355.

(٢٣) نفس المصدر .

(٢٤) Maurice Barres, Scenens et doctrines du Nationalism. Paris : Plon-Nourrit, 1925, I, p. 94.

الذى جاء الى باريس من فيينا كى يكون مراسلا لجريدة (Neue Press) فى القضية المذكورة (٢٥) . فما أن جاءت السنة التالية الا وألف هرتسل كتابه الشهير (DerJudenstaat) او الدولة اليهودية .

وفى كتابه ، دعا هرتسل الى قيام دولة علمانية لا علاقة لها البتة بالدين اليهودى أو بفكرة العودة المعجزية ، الا أن صلة فكره كله بالتحرير والمشاكل التى أدى تحرير اليهود اليها واضح كالشمس . قال هرتسل : « اللاسامية المعاصرة يجب أن لا تخلط باضطهاد اليهود فى الأزمنة الغابرة ، ولو كان لها شىء من اللون الدينى فى بعض الأحيان ، ان تيار الكره الرئيسى لليهود من نوع آخر . ففى مراكز اللاسامية الكبرى ، نشأ الكره لليهود من جراء التحرير ، عندما فاقت الأمم المتمدنة الى عدم انسانية اضطهادها لليهود وتمييزها العنصرى ضدهم طوال القرون الوسطى ، جاء تحريرنا متأخرا عن أوانه . اذ لم يعد يكفى القانون العام لتحريرنا من الجيتو القديم ، ففى الجيتو « تطورنا وتقدمنا الى أن أصبحنا طبقة بورجوازية ، وعندما خرجنا من الجيتو ، أصبحنا منافسا خطيرا للطبقات الأوروبية الوسطى . وعليه ، وجدنا أنفسنا وقد دفعنا الى المعمعة دفعا . خرجنا محررين ودخلنا فى الطبقة البورجوازية نحارب من الداخل ومن الخارج . فالبورجوازية المسيحية لا تتورع قط للتخلص منا نهائيا ككبش فداء الاشتراكية التى يريدونها » (٢٦) .

وقال أيضا : « لعلنا نذوب فى الأمم الأوروبية وننصهر معها دون قيد لو تركونا وعافونا من الاضطهاد والملاحقة لمدة جيلين فقط . ولكن

---

(٢٥) Robert F. Byrnes, Anti-Semitism in Modern France. Vol 1, The Prologue to the Dreyfus Affair. New Brunswick, New Jersey : Rutgers University Press, 1950.

(٢٦) راجع كتاب هوتزبرج السابق ذكره (The Zionest Idea) صفحة ٢١٨ .

انى لهم فبعد قليل من سعة الصدر والتحرير ، تتفجر عدواة المسيحيين لنا من جديد · وكلما انصهرنا معهم ونجحنا فى أعمالنا ، يتاذون لذلك ، فهم اعتبرونا منذ قرون أننا لا نصلح لعمل أو حياة · فهم على عماهم وعدم بصيرتهم وسوء نيتهم لنا ، أخفقوا فى ادراك هذه الحقيقة أن النجاح يفقدنا هويتنا ويمحى الفروق التى تميزنا عنهم · الضغط والاضطهاد فقط يرجعاننا الا ذاتيتنا ، عداؤهم هو الذى يوصمنا فى نظر أنفسنا بأننا غرباء ·· اننا أمة واحدة خلقها أعداؤنا بعدائهم لنا » (٢٧) ·

وقال ماكس نورداو (١٨٤٩ – ١٩٢٣) متنكرا لفكرة الأورثوذكس بأن العودة ستتم بشكل معجز وعلى يد مسيحى الهى منتظر · « الصهيونية نتيجة حركتين خارجتين عن اليهود :

الأولى : حركة القومية التى سيطرت على الفعل والشعور فى أوروبا أكثر من نصف قرن وجاءت مسئولة عن تاريخ العالم السياسى ·

والثانية : اللاسامية التى أصاب شرها جميع اليهود أنى كانوا » (٢٨) ·

وحتى فى أمريكا ، وهى التى تمسكت بمبادىء التنوير ووضعت دستورها عليها كأساس ، ولم تعرف الجيتو بل كان اليهود فيها أحرارا منذ أن دخلوها ، لم تخل من اللاسامية ، وان كانت اللاسامية فيها لم تبلغ درجة العنف والعداء المكشوف الذى بلغته فى أوروبا · ولنقرأ ما يقوله زعيم الصهاينة فيها ، الحاخام أبا هيلل سلفر ، فانه يكشف عن مخاوف اليهود من اللاسامية الأمريكية ، اذ قال سنة ١٩٤٤ : « لقد جعل العالم الجديد ممكنا لزمن ما أن ينصهر اليهود فى جسم الأمة

---

(٢٧) المصدر السابق ، ص ٢١٨ ·
(٢٨) المصدر ذاته ، ص ٢٤٢ ·

الأمريكية ويعرفوا أنفسهم كامريكان . الا أن هذا تبدد ولن يعود فى غالبية الأحيان . فاللاسامية التى تعودنا عليها فى العالم القديم (أى أوروبا) معنا وستظل معنا الى الأبد ... من غير المتوقع أن تقـــوم الفاشية فى أمريكا . ولكن الامريكان الفاشيين الذين سيبقون لا ساميين على ممر الدهـور سيبقون معنـــا .. والحقيقة هى أننا نحن اليهود الامريكان ، نجد أنفسنا الآن فى مصاف اليهود فى شتى أنحاء العـالم من تشتيت وتهديد . وقد أخذنا الآن نشعر مـــع اخواننا فى العالم أن مصيرهم مصيرنا وأن لا غنى لنا عنهم ولا غنى لهـم عنـا ، بل وأن هويتنا كلنا واحدة ، هى الهوية اليهودية (٢٩) .

وهكذا نرى أن العالم كله أصبح فى نظر اليهود ناقضا لمبـــادىء التنوير وآسفا على التحرير الذى سلبه الكثير من رخائه المادى واطمئنانه الى الدين والسياسة القائمة فى كل بلد ، بعد أن أشرك اليهود فى حياته وخرطهم فى صفوفه على قدم المساواة . فجاءت الصهيونية ردا على هذا ونتيجة لخيبة أمل اليهود فى المسيحيين الأوروبيين الـذين اعطوا فندموا فأخذوا ما أعطوه عنوة فقتلوا .

* * *

٤ ـ الصهيونية والملل اليهودية المعاصرة :

لم يكن تبنى الملل اليهودية فكرة الصهيونية بنفس الســـهولة أو السرعة ، وقد رأينا ما لبعضـها من مناقضـة للمبادىء الصهيونية ، فالصهيونيون لم يكونوا فى بادىء الامر سوى أقلية ضئيلة فى أى حزب أو فئة . أما الأكثرية فكانت اما معارضة للصهيونية بصراحة أو غــير مكترثة لها غير عابئة بدعايتها .

---

(٢٩) كتاب هوتزبرج (The Zionest Idea) السابق ذكره . ص ٦٠٠ ـ ٦٠١ .

وكان أول تحول تجاه الصهيونية هو الذى قام به بعض المحافظين ٠ وسرعان ما تبنت الملة المحافظة كلها البرنامج الصهيونى وأخذت تدعو له بشدة ٠ وبالرغم من هذا ، كان يرى المحافظون تناقضا بين دعوتهم الى التجنس بالجنسية الأمريكية والاندماج فى المحيط الأمريكى وبين المبادىء الصهيونية ٠ ولذلك جعلوا الصهيونية فى بادىء الأمر أمرا ثقافيا لا سياسيا ٠ وكأنهم فسروا وعد بلفور التفسير الثقافى والروحى الذى فسرته انجلترا بعد أن أصدرت التقرير الأبيض سنة ١٩٣٩ (٣٠) ٠

وبهذا التفسير ، استطاع الصهيونيون أن يندسوا فى صفوف المحافظين ويبثوا دعايتهم الى أن أصبح المحافظون كلهم يعطفون على الحركة الصهيونية فى فلسطين ٠ وساعد هذا التحول ما آمن به المحافظون من مبدأ « كلال يسرائيل » السابق ذكره ، وما ركزه هذا المبدأ من توجيه واهتمام بالأمة الاسرائيلية فى العالم ، وما أقامه من صروح حول اجماع الأمة فى أى وقت لا سيما فى العصر الحاضر ٠ ومن السهل أن يتحول مبدأ « كلال يسرائيل » الى برنامج سياسى يضم الأمة اليهودية بكاملها ويستهدف تحقيق مصلحتها وكيانها ٠

وكان الأمر خلاف ذلك عند الاصلاحيين والأورثوذكس : أما الاصلاحيون فقد حذفوا من مبادئهم فكرة أن اليهود قوم : « لقد لازمنا مبدأ أن اليهود ليسوا قوما ، فآمنا به ايمانا صادقا وأكيدا ٠ ولقد قمنا عملا بهذا المبدأ ، بدفع الأعياد القومية اليهودية الى مؤخرة اهتمامنا

---

(٣٠) وهو التقرير الذى أوقفت بموجبه انجلترا انتقال الأراضى الى اليهود فى فلسطين مفسرة أنها قد أتمت تحقيق الوطن القومى اليهودى ٠ بمعنى أنها أوجدت فى فلسطين كيانا روحيا وثقافيا لليهود ٠ وأن هذا ما يبرىء ذمتها ٠ اذ هى لم تتعهد بانشاء وطن قومى بمعنى دولة يهودية ٠

وحذفنا كل ذكر ودعاء بالعودة الى صهيون من أدعيتنا وصلواتنـــــا وطقوسنا » (٣١) ٠

وبالرغم من هذا الموقف المبدئى ، وجد فى صفوف الاصـلاحيين الربابنة جوستاف جوتهايل وبرنارت فلسنتال وستيفن وايز الذين دافعوا عن الصهيونية وجعلوا من أنفسهم أبواقا لها داخل صفوف الاصلاحيين ٠ وحاول هؤلاء وأنصارهم جر الملة بكاملها الى المعسكر الصهيونى ولكنهم لم يفلحوا الا فى سنة ١٩٤٣ ٠ عندئذ وتحت ضغط الحرب العالمية الثانية وأخبار تقتيل اليهود على يد النازيين فى أوروبا ، استطاع الصهيونيون اقناع المؤتمر المركزى للربابنة الاصلاحيين باقرار أول قـرار ملائـــم للصهيونية ٠ ونص هـــذا القرار على أن لا ثمـة تناقض بين الصهيونيه والمبادىء الاصلاحية ٠

أما المجتمعات الاصلاحية ، فقد قرر مؤتمرها المنعقد سنة ١٩٣٧ ، بعد أربع سنوات من تولى هتلر الحكم فى ألمانيا ، بأن « واجب اليهود جميعا أن يساعدوا فى بناء فلسطين كوطن لليهود ، وذلك ليس بمحاولة جعلها ملجأ لليهود والمضطهدين فحسب بل مركزا للثقافة اليهوديـــة والحياة اليهودية الروحية » (٣٢) ٠ ولكن هذا القرار لم يفعل أكثر من ازالة معارضة الاصلاحيين للفكرة والبرامج الصهيونية ٠ فهو لم يدفـــع بالملة كملة الى المعسكر الصهيونى ٠ وحسب نظام (Congregationalism) المتبع فى الملة لكل مجتمع وكنيسة اصلاحية الحق فى اقرار ما تشـاء ، فبينما انخرط عدد كبير من الكنائس الاصلاحية فى صفوف الصهيونية ، بقى عدد مهم منها خارج هذا النطاق ٠

---

(٣١) The Hebrew Union College Journal, November 1896

(٣٢) قارن بين مقالات :

Reforn Judaism : Essays by Hebrew Union College Alumni, Cincinnati : Hebrew Union College Press, 1949.

ولعل أهم فرع من الملة الاصلاحية الكنـائس الداخلة فى المجلس الأمريكى للدين اليهودى المسمى (The American Council for Judaism) والذى يرأسه الحاخام آلمر برجر الشهير ، الذى ألف كتبا عدة ضــــد الصهيونية ، وهو لا يزال يعمل بنشاط هائل فى مكافحتها ٠

أما اليهود الأورثوذكس فقد انقسموا حول الصهيونية الى قسمين : قسم المنظمة المزراحية ، وهى التى تقبلت الحل السياسى لمشكلة خلاص اليهود بدل الحل المعجز على يد الاله ٠ وقسم جمعية أو آجودات اسرائيل الذى أصر على أن خــلاص اليهــود لن يتــم بطريقة الســياسة وأن لا بد له من العمل المعجز الالهى ٠ لقد أقر مجلس الربابنة الأورثوذكس مبادىء كلا الحزبين بالرغم من اختلاف نظريتيهما ، ومع هذا ، فالانقسام لا يزال قائما الى يومنا ٠

يميل الجيل الجديد الى المزراحيين فى تبنى الصهيونية كبديـل للمخلص المسيح المنتظر ٠ الا أن المزراحيين ، بالرغم من تفوقهم العددى على آجودات اسرائيل ، لم ينخرطوا حتى هذه اللحظة رسميا فى المنظمة الصهيونية الأمريكية ٠ وهم يصرون أنهم يتعاونون معها فقط ، وأنهم ليسوا عليها ٠

وقد قام اليهود فى أمريكا قيام رجل واحد سنة ١٩٤٨ للضغط على حكومتهم بمؤازرة وتأييد الدولة المزعومة والتأثير على الأمم المتحـــدة لاقرار التقسيم وانشاء الدولة اليهودية ٠ ففى تلك الآونة ، كانت الصهيونية لهم جميعا دينا ، ولكن حماستهم أخذت تفتر بعد أن قامت اسرائيل وبلغ أحط درجاته سنة ١٩٦٧ قبيل حرب حزيران ٠ ومع أنــه تبين للجميع قبيل نكسة حزيران ١٩٦٧ وبعدها مدى تصهين يهود أمريكا اذ كانت حماستهم أشد من حماسة ١٩٤٨ ، الا أن الحقيقة التى لامراء فيها هى أن حماستهم هذه المرة كانت مدفوعة من الحكومة الأمريكية التى أطلقت جميع وسائل الأعلام الأمريكى بالتهجم على العرب وتأييد اسرائيل ٠

ولا يمكننا أن نقول اليوم أن هذه الحماسة باقية بل على العكس ، فالظاهر هو أن الصهيونية كدين قومى لليهود خارج اسرائيل قد انتهى أمره . وهذا لا يعنى أن اليهود لن يساعدوا اسرائيل ، ولكنه يعنى بحق أن الشعور الدينى اليهودى أخذ يبحث عن أهداف أخرى بعد أن تحقق له حلمه القديم فى جعل فلسطين دولة يهودية من جهة ، وبعد أن اكتشف أن تحقيق ذلك الحلم لا يشبع كل ما فى الشعور الدينى من ضغط وأمل .



الفصل الثامن

خلاصة البحث

يتبين جليا من البحث السابق أن الدين اليهودى تحول وتغير ردا على ما جوبه به من قبل المسيحيين الأوروبيين ، وقد تقبل نظام الجيتو واستخدمه كى يحافظ على نفسه ويقويها بتطويع جميع الأنظمة والحقوق والواجبات والمشاعر للكيان الجماعى اليهودى ٠

فلما جاء عصر التنوير واعتنق المسيحيون مبادئه ، رأوا تناقضهم فى كبت اليهود فحرروهم ، وعندما أخذ الأوروبيون يبنون مجتمعاتهم لا على نظام الأسر والكنائس بل على أسس عقلانية مثل المنفعة العامة ، دعوا اليهود الى المساهمة فى هذا البناء على حد سواء ٠

ولكن سرعان ما تفوق اليهود على الأوروبيين فى هذا السباق الجديد فى عالم التجارة والصناعة والعلم وسيطروا على مراكز القيادة فى جميع المستويات ، وفى نفس الوقت ، راحت الفلسفة الأوروبية تـدك صـرح العقلانية التنويرية وراح المفكرون والعلماء والفنانون يشيدون قومياتهم على أسس رومانطيقية غالية تعتمد الدم والأرض والتاريخ ٠ ولا مكان لليهود فى الدم أو الأرض أو التاريخ ، فنشأت الحركات اللاسامية وبدأ اضطهاد اليهود يعود الى أعماله البشعة ٠

وجاءت الصهيونية تؤكد انكماش اليهود على أنفسهم بعـد أن فتحتهم حركتا التنوير والتحرير ، وأخذوا يتوجسون خوفا من اندلاع حركات لا سامية ٠ ولم يخطئوا ، قامت الفاشية فى ايطاليا والنازية فى

المانيا ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية فأتت على جميع مكاسب الحركتين ، ونتج عن هذا التحام اليهود فى الحركة الصهيونية دفاعا عن أنفسهم من موت محقق وأمل خائب فى المدنية الأوروبية المسيحية ٠

أما من حيث المبادىء ، فيرى اليهود أن حركتى التنوير والتحرير وان أخفقتا فى النهاية ، فقد أثبتتا أن اليهودى لا يمكن أن يتحمل أثرهما دون أن يؤدى ذلك الى ذوبانه فى القوم الذى يعيش فيهم ، فكلما صدق الأوروبى فى تنويره وتحريره وعالميته وعلمانيته ، كلما ضعف الأساس الدينى عنده وبالتالى ضعف الأساس الدينى عند اليهود ٠ ولذلك رأى معظم اليهود أن الحل لمشكلتهم لن يكون فى التحرير ، فذلك حل يحل المشكلة بتذويبهم ٠

ولم يكن أمامهم من حل آخر سوى الصهيونية ، لا سيما أن الحرب العالمية وتقتيل اليهود فيها كان لا يعطى مجالا للتأمل أو التخطيط البعيد ٠ ومن البديهى أن اليهود لا يرغبون فى العودة الى أمان وطمأنينة الجيتو ٠ ففى الجيتو استعباد وشقاء كلى بالرغم من التضامن اليهودى الداخلى والوعى الدينى القوى اللذين تطلبهما الجيتو وحققهما بشكل تام ٠

وبعد أن تحقق حلم الصهيونية الأكبر بانشاء دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ أخذ اليهود يراجعون أنفسهم عن مدى صلاحية الصهيونية كحل لمشكلتهم فاما أن يعتبروا المشكلة منتهية وهذا يقضى على اليهودية كدين قومى اذ تلزمهم الانصهار فى الجسم الغربى القومى الأكبر الذى يحيط بكل مجتمع من مجتمعاتهم الغربية ، أو أن يهاجروا لاسرائيل ويتصهينوا ولكن اسرائيل ليست مضمونة البقاء والسعادة ، فالمئة مليون عربى المحيطون باسرائيل لن يتركوا فرصة للقضاء عليها وبهذه الحالة تظهر مشكلة اليهود من جديد ٠ فما الحل ؟

طالما أن الحل يقتضى عدم الاضطهاد الجماعى فلا رجعة الى

الجيتو • وطالما أنه يقتضى عدم ذوبان اليهود فى العالم فلا رجعة الى التنوير والتحرير والعلمانية التى يتلاشى الدين فيها •

واذا كان لا بد من وجود دولة اسرائيل ، فعلى اليهود غير الاسرائيليين اما الانصهار فى مجتمعاتهم والتخلى عن يهود العالم ، وهذا غير مقبول ، أو الهجرة اليها والتصادم مع العرب تصادما قد يطوح بالوجود اليهودى برمته من وجه التاريخ ، فالمشكلة اذن قائمة ، بل هى على أقصى ما يمكنها أن تكون من الاعضال •

الحل طبعا ، يقضى بأن لا اضطهاد ولا ذوبان على اليهود ولا اعتداء لليهود على العرب ، وهذا بالذات ما حققه ميثاق المدينة الذى أعطاه سيدنا محمد ﷺ لأهل المدينة من مسلمين ويهود ، وما حققته المدنية الاسلامية من بعده ، فاليهود ، فى الدولة الاسلامية : أمة من دون الناس تقوم بنفسها بتحقيق قوانينها وتنتخب رؤساءها الذين يديرونها ويرتبون أمورها متوخين العدالة كما تفهمها قانونهم وتراثهم ، فهم يتمتعون ضمن الدولة الاسلامية بكل ما تمتعوا به من حقوق ومكاسب فى الجيتو ، بل أكثر من ذلك ، فالاسلام يضع سلطة الدولة الاسلامية التنفيذية تحت امرة القضاء اليهودى كى تتحقق الهوية اليهودية فى جميع أبناء الشعب وعلى مر الدهور •

غير أنه ليس فى هذا النظام شيئا من الظواهر البشعة التى فى الجيتو • فليس هناك اضطهاد جماعى ولا فردى ، بل يعيش اليهود بسلام وطمأنينة اذا هم أخلصوا للنظام الأكبر الذى يحميهم ويمتعهم بحقوق الحرية والبقاء المستمر الناجح والمحقق للقيم اليهودية • ونظير هذه الحماية يدفعون الجزية ويمكنهم أن يدفعوها اليوم لا كجزية مالية بل كخدمات لا تختلف قط عن الخدمات التى يقدمها المسلمون لدولتهم بما فيها جهاد العدو المشترك كل حسب طاقاته وميوله •

فالاسلام هو النظام الأوحد الذى يحقق لليهود ما يبغون ٠

أولا : الحرية والبقاء فى سلام ٠

ثانيا : الكيان الجماعى الذى تتطلبه قوميتهم الدينية ٠

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

***

رقم الايـداع ٣٠٣١ / ٨٨

الترقيم الدولى ٢ ـ ١٣٣ ـ ٣٠٧ ـ ٩٧٧